الحكمة

إلى متى عدم الحكمة؟

عندما ألقيت محاضرة (الحكمة) في الرياض، كان أول سؤال يرد إلي بعد الانتهاء من المحاضرة: (إلى متى الحكمة) ؟ فازدادت قناعتي أن هذه الصحوة تحتاج إلى جهود مضاعفة لتوجيهها إلى المنهج الشرعي، منهج أهل السنة والجماعة، قبل أن تزل العقول والأقدام.

وإذا كانت بذلت جهود مباركة -ولا تزال تبذل- من أجل عودة الناس إلى دينهم وعقيدتهم، وحيث حققت هذه الجهود _بعد توفيق الله، وبتوفيق منه سبحانه وتعالى- تلك الآثار الإيجابية التي نراها من عودة الأمة إلى الله جماعات وآحادا، رجالاً وركباناً، فإن واجب العلماء وطلاب العلم والدعاة أن يوجهوا جل اهتمامهم لتربية هذه الجموع، ويبينوا لهم الطريق الصحيح، لئلا تغرق السفينة بمن فيها، فإن العبرة ليست (بالكم)! ولكن (بالكيف)!!.

ولذا رأيت أن من الحكمة طرح موضوع الحكمة بحكمة، وأسأل الله التوفيق والسداد وحسن القصد والمآل. المؤلف

تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضـلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشـهد أن محمداً عبده ورسوله.

"يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلا تَمُـوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" (آل عمران:102).

"يَا أَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُـوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ وَخَلَـقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً" (النساء:1).

"يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَقُولُـوا قَـوْلاً سَـدِيداً يُصْـلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزاً عَظِيماً" (الأحزاب:70، 71).

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتـاب اللـه، وأحسـن الهـدي هـدي محمد صلى الله عليه و سلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكـل محدثـة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

قال الله -جل وعلا-: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" (البقرة:269).

وقـــال _ســـبحانه_:"ادْعُ إِلَى سَـــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـــةِ وَالْمَوْعِظَـــةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (النحل: من الآية125).

فلمـا للحكمـة من مكانـة عظيمـة من الكتـاب والسـنة، ولحاجـة الأمة حاضراً ومستقبلاً إليها في كل شؤونها، ولخفاء معـنى الحكمـة على كثير من المسلمين، فقد قمت ببحث هذا الموضـوع في ضـوء القرآن الكريم، مسترشداً بآياته، مستشهداً بقصصه، متأملاً لأوامره ونواهيـه، مـع النهـل من معين السـنة في فهم معـنى الحكمة؛ لأن السنة هي المصدر الثاني من مصادر تفسير القرآن الكريم وفهمه.

كما أفدت من كلام السـلف من الصـحابة ومن بعـدهم، توضـيحا لمعاني الحكمة ومدلولاتها، وقد بذلت جهدي، وحرصت على ضـرب بعض الأمثلة من الواقع المعاصر تقريباً للفهم، وتحقيقاً للقصد.

وقد عشت مع هذا الموضوع مـدة طويلـة متـأملاً وباحثاً ومحققاً، ولم أقدم على تدوينه ونشره إلا بعد قنـاعتي بأنـه قـد اسـتوى على سوقه، مع حاجة الناس إليه.

أسأل الله أن يحسن لنا المقاصـد والنيـات، وأن يوفقنـا للحكمـة في أقوالنا وأفعالنا، ونياتنا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أهمية الموضوع

تظهـر أهميـة موضـوع الحكمـة من خلال التأمـل في العناصـر التالية:

1- أن لفظ "الحكيم" ورد في القـرآن الكـريم عشـرات المـرات [1].

2- أن "الحكيم" اسم من أسماء الله _تعالى_.

3- أن الله قد أمـر بالحكمـة، فقـال _سـبحانه_: "ادْعُ إِلَى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ" (النحل: من الآية125).

4- أن الله أثنى على صاحب الحكمة، فقال: "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِـيراً" (البقـرة: من الآية269)، وامتن على لقمـان حيث آتاه الحكمة، فقال: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَـةَ أَنِ اشْـكُرْ لِلَّهِ" (لقمان: من الآية12).

1 - ورد بلفظ "حكيم" (81) مرة، و"حكيما" (16) مرة.

5- أن الله نسب الحكمـة إلى نفسـه، وجعـل إيتاءهـا من عنـده، فقـال: "يُـؤْتِي الْحِكْمَـةَ مَنْ يَشَـاءُ" (البقـرة: من الآية269)، وقـال: "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ" (لقمان: من الآية12). وقـال: "وَلَمَّا بَلَـغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً"(يوسف: من الآية22)، وقال: "وَقَتَـلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة: من الآية251) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة.

6- أن الحكمة،هي: الفقـه في دين اللـه، كمـا فسـرها كثـير من السلف، والرسول صلى الله عليه و سلم يقول: "من يرد الله بــه خيراً يفقهه في الدين " [1].

7- أن الحكمة ضالة المؤمن، متى وجدها فهو أحق بها.

8- أن الرسول صلى الله عليه و سلم دعا لابن عمه، عبـد اللـه بن عباس -رضي الله عنهما- فقال: " اللهم علمه الحكمة " [2].

9- أن مدار نجاح الدعوات على الحكمة.

10- الفهم الخاطئ لمعنى الحكمة من قبل كثير من الناس.

11- مداهنة الظالمين، وضياع الحق، والسكوت على الباطل في كثير من بلاد المسلمين باسم الحكمة.

12- أن الحكمة ظلمت من قبل الخاصة والعامة، فالخاصــة وهم بعض صغار طلاب العلم، فمنهم من يدعيها لنفسه، وينسب أعمالـه إلى الحكمة، وقليل ما هم.

1 - البخاري (71)، ومسلم (1037) عن معاوية -رضي الله عنه-.

2 - البخاري (3756).

والعامة يصفون كل من أمرهم بخلاف ما هم عليه من هوى أو شهوة، وأنكر بدعهم وضلالاتهم، يسمونه بعدم الحكمة، كالتطرف والعجلة، ونحو ذلك مما يضاد الحكمة.

13- أن الصحوة الإسلامية في يقظتها المعاصرة أحوج ما تكون إلى الحكماء.

14- أن بعض المواقف والأعمال التي قامت بها بعض الجماعات الإسلامية، وبعض الدعاة الغيورين كانت تفتقر إلى الحكمة، كالدخول في معارك عسكرية مع الأنظمة، حتى وإن كانت كافرة [1] وقد جرت مثل هذه الأعمال على أمتنا عموماً، وعلى الدعاة خصوصاً الويلات.

ومثل ذلك أسلوب الاغتيالات، أو إحراق أماكن الفساد في بلد لا يملك فيه المسلمون السلطة.

وكل ذلك بسبب عدم الحكمة الناشئ عن الجهل في فهم النصوص ودلالاتها.

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية الحكمة، بل أهمية الحديث عنها في ضوء القرآن الكريم.

معنى الحكمة

1 - وهذا لا يعني إبطال الجهاد، فالجهاد ماض إلى يوم القيامة ولكن الجهاد له شروطه وأسبابه وأحكامه.

ورد للحكمة عدة معان، وهي معان خاصة وعامة، وسأعالج هـذه المعاني من خلال القنوات التالية:

1- المعنى اللغوي.

2- الحكمة في القرآن الكريم.

3- الحكمة كما وردت في السنة.

4- الحكمة كما عرفها بعض العلماء.

ثم بعد ذلك أذكر خلاصة تجمع بين هذه المعاني.

1- المعنى اللغوي للحكمة

قال ابن فارس: الحاء والكـاف والميم أصـل واحـد، وهو: المنـع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها.

والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنـع من الجهـل، والمحكم: المجـرب المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة:

ليت المحكم	**تحت الـــتراب إذا مـــا**
والموعــوظ صــوتكما	**الباطــــل انكشــــفا**

أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة [1].

وقال ابن منظور:

قيل: الحكيم:

1 - معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (حكم) جـ 2/91.

ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفـة أفضـل الأشـياء بأفضـل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم [1].

وقال الجوهري:

الحكم: الحكمة من العلم.

وصاحب الحكمة: المتقن للأمور.

وقد حكم- بضم الكاف، أي: صار حكيماً، قال النمر بن تولب:

وأبغض بغيضـك بغضـا رويـــــــــــــدا **إذا أنت حاولـــــت أن تحـــــــــــكما**

قـال الأصـمعي: أي: إذا حـاولت أن تكـون حكيماً، والمحكم - بفتح الكاف- هو الشيخ المجرب، المنسوب إلى الحكمة [2].

وقال في(تاج العروس):

والحكمة -بالكسر- العـدل في القضـاء كـالحكم، والحكمـة العلم بحقـائق الأشـياء على مـا هي عليـه، والعمـل بمقتضـاها، ولهـذا انقسـمت إلى علميـة وعمليـة، ويقـال: هي هيئـة القـوة العقليـة العلمية.

وقيل: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل.

فالحكمة من الله: معرفة الأشياء، وإيجادهـا على غايـة الإحكـام، ومن الإنسان: معرفته، وفعل الخيرات.

---

1 - لسان العرب مادة (حكم) 15/30.

2 - الصحاح مادة (حكم) 5/1901.

وأحكمه إحكاماً: أتقنه، ومنه قـولهم للرجـل إذا كـان حكيمـا: قـد أحكمته التجارب.

وأحكمه: منعه من الفساد [1].

وفي (المصباح المنير): الحكمة وزان قصبة للدابة، سميت بذلك؛ لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه.

ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال [2].

هذه أهم المعاني اللغوية التي وردت في الحكمة وأصلها.

وكلها تدور حول المنع؛ لأنها تمنع صـاحبها من الوقـوع فيمـا يـذم فيه، أو ما قد يندم عليه، وتمنعه من اختيار المفضول دون الفاضل، أو المهم قبل الأهم.

1 - تاج العروس مادة (حكم) 8/353.

2 - المصباح المنير 1/200.

الحكمة في القرآن الكريم

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرة، في تسع عشرة آية، في اثنتي عشرة سورة، وقد ورد لعدة معان، وتفصيل ذلك كما يلي: اختلف المفسرون في تفسير الآيات الواردة بلفظ الحكمة، فنجد مقاتل -كما ذكر الرازي- يقول: تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: مواعظ القرآن، قال -تعالى- في سورة البقرة، الآية: 231: "وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ" (البقرة: من الآية231) ومثلها في آل عمران.

وثانيهما: الحكمة بمعنى: الفهم والعلم، ومنه قوله – تعالى -: "وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً" (مريم: من الآية12)، وفي سورة لقمان (الآية: 12)، "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ" (لقمان: من الآية12) يعني: الفهم والعلم، وفي (الأنعام الآية: 89): "أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ" (الأنعام: من الآية89).

ثالثها: الحكمة بمعنى النبوة، ففي النساء 54: "فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (النساء: من الآية54)، وفي (ص 20) "وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ" (صّ: من الآية20) وفي البقرة: "وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة: من الآية251).

ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار، ففي النحل 125"ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ" (النحل: من الآية125)، وفي (البقرة 269)ـ "وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً" (البقرة: من الآية269)[1].

ويقول الفيروزآبادي: وردت -الحكمة- في القرآن على ستة أوجه:

الأول: بمعنى النبوة والرسالة، "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (آل عمران: من الآية48). "وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ" (صّ: من الآية20) "وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ" (البقرة: من الآية251). أي: النبوةـ

الثاني: بمعنى القرآن والتفسير والتأويل، وإصابة القول فيه: "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً" (البقرة: من الآية269).

الثالث: بمعنى فهم الدقائق والفقه في الدين "وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً" (مريم: من الآية12).

الرابع: بمعنى: الوعظ والتذكير "فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ" (النساء: من الآية54). أي: المواعظ الحسنة، "أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ" (الأنعام: من الآية89).

الخامس: آيات القرآن وأوامره ونواهيه "ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ" (النحل: من الآية125).

---

1 - انظر: التفسير الكبير للرازي 7/67 والحكمة في الدعوة إلى الله ص 20.

السادس: بمعنى حجة العقل على وفق أحكام الشريعة، "وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ" (لقمـان: من الآية12) أي: قـولاً يوافـق العقـل والشرع [1].

وقال ابن كثير:

قـال علي بن طلحـة عن ابن عبـاس: يعـني المعرفـة بـالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشـابهه، ومقدمـه ومـؤخره، وحلالـه وحرامه، وأمثاله [2].

وقال -أيضاً-: روي عن ابن عباس مرفوعاً: الحكمة القرآن، يعني تفسيره.

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: "يُـؤْتِي الْحِكْمَـةَ مَنْ يَشَـاءُ" (البقــرة: من الآية269). ليســت بــالنبوة، ولكنــه العلم والفقــه والقرآن.

وقال إبراهيم النخعي: الحكمة: الفهم.

وقال أبو مالك: الحكمة: السنة.

وقال زيد بن أسلم: الحكمة: العقل.

وقال مالك: وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هي: الفقه في اللــه، وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله.

قال السدي: الحكمة: النبوة.

وهــذه الأقــوال ذكرهــا ابن كثــير ثم عقب قــائلاً: والصــحيح أن الحكمـة -كمـا قـال الجمهـور- لا تختص بـالنبوة، بـل هي أعم منهـا،

---

1 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 2/490 والحكمة في الدعوة إلى الله ص18.

2 - تفسير ابن كثير 1/322.

وأعلاهـا النبـوة، والرسـالة أخص [1] ولكن لأتبـاع الأنبيـاء حـظ من الخير على سبيل التبع، كما جاء في بعض الأحاديث [2].

وقال عبد الرحمن السعدي مفسرًا الحكمة:

الحكمة، هي: العلــوم النافعــة والمعــارف الصــائبة، والعقــول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقـوال والأفعـال، ثم قال: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشـياء مواضـعها، وتنــزيل الأمـور منازلهـا، والإقـدام في محـل الإقـدام، والإحجام في موضع الإحجام [3].

وقال القاسمي في تفسير الحكمة:

قـال كثـيرون: الحكمـة: إتقـان العلم والعمـل، وبعبـارة أخـرى: معرفة الحق والعمل به [4].

وقال الرازي: والمراد بالحكمة: إما العلم، وإما فعل الصـواب [5].

ونواصــل الحــديث عن (الحكمــة) في كتــاب اللــه كمــا بينهــا المفسرون.

فقد قال رشيد رضا مفسراً:

الحكمــة: التميــيز بين مــا يقــع في النفس من الإلهــام الإلهي والوسواس الشيطاني [6].

---

1 - لأن كل رسول نبي ولا عكس.

2 - انظر: تفسير ابن كثير 1/322.

3 - انظر: تفسير ابن سعدي 1/332.

4 - انظر: تفسير القاسمي 1/245.

5 - انظر: تفسير الرازي 7/67.

6 - المنار 3/75.

قال الألوسي: وفي (البحـر): إن فيهـا تسـعة وعشـرين قـولاً لأهـل العلم، قـريب بعضـها من بعض، وعـد بعضـهم الأكـثر منهـا اصطلاحاً واقتصاراً على ما رآه القائل فـرداً مهماً من الحكمـة، وإلا فهي في الأصل: مصدر من الإحكام، وهو الإتقـان في علم أو عمـل أو قول أو فيها كلها [1].

أما ابن عاشور فقد قال:

وفسرت الحكمة بأنها معرفة حقـائق الأشـياء على مـا هي عليـه بما تبلغه الطاقة، أي: بحيث لا تلتبس الحقائق المتشابهة بعضها مع بعض، ولا يغلط في العلل والأسباب [2].

ونختم أقوال المفسرين في الحكمة بما ذكره سيد قطب -رحمه الله- حيث فسر الحكمة بأنها:

القصد والاعتدال، وإدراك العلل والغايـات، والبصـيرة المسـتنيرة التي تهديه للصالح الصائب من الحركات والأعمال [3].

هذه خلاصة لأهم أقوال المفسرين في تفسير معنى الحكمة في كتـاب اللـه، ونسـتطيع أن نقـول: إن المفسـرين فسـروا الحكمـة بتفسيرين:

الأول: النبوة.

الثاني: العلم والإتقان، والتوفيق، والبصـيرة، والعمـل الصـائب، ومنع الظلم، ووضع الشيء في موضعه، وكلها معان متقاربة.

---

1 - روح المعاني 2/41.

2 - التحرير والتنوير 3/61.

3 - في ظلال القرآن 1/312.

الحكمة في السنة

السنة هي المفسرة للقرآن، وهي المصدر الثاني للتشريع، ولـذا سـأذكر بعض الأحـاديث الـتي وردت في الحكمـة مـع الاختصـار في ذلك:

وقـد وردت بعض الأحـاديث الصـحيحة، وكثـير من الأحـاديث الضعيفة.

وسأقتصر على أهم الأحاديث الصحيحة في هذا البـاب، مـع ذكـر بعض الأحاديث الضعيفة، وبخاصة المشتهر منها على الألسنة.

أولاً: الأحاديث الصحيحة:

1- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قـال: ضـمني رسـول اللـه صلى الله عليه و سلم إلى صـدره، وقـال: " اللهم علمـه الحكمة" [1] رواه البخاري.

قال البخاري: الحكمة: الإصابة في غير النبوة.

قال ابن حجر: واختلف المراد بالحكمة هنا:

فقيل: الإصابة في القول.

وقيل: الفهم عن الله.

وقيل: ما يشهد العقل بصحته.

وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس.

وقيل: سرعة الجواب بالصواب.

1 - البخاري (3756).

ومنهم من فسر الحكمة هنا بالقرآن [1].

2- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:"فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه " رواه البخاري [2].

3- وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :"لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها" [3]. رواه البخاري.

والحكمة هنا فسرت بالقرآن، كما وردت في حديث آخر. [4]

4- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال:"إن من الشعر حكمة " [5]. حديث صحيح.

قال ابن حجر: إن من الشعر حكمة، أي: قولاً صادقاً مطابقاً للحق.

وقيل: أصل الحكمة: المنع، فالمعنى: إن من الشعر كلاماً نافعا يمنع من السفه [6].

1 - انظر: فتح الباري 7/100 والحكمة في الدعوة إلى الله ص 23.

2 - البخاري (349)، ومسلم (163).

3 - البخاري (73)، ومسلم (816).

4 - انظر: فتح الباري 1/167.

5 - انظر: فتح الباري 10/540، والحكمة في الدعوة إلى الله ص 24.

6 - البخاري (6145).

5- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية " حديث صحيح [1].

قال ابن الصلاح: إن المراد بالحكمة: العلم المشتمل على المعرفة بالله [2].

ومعاني الحكمة في هذه الأحاديث قريبة من المعاني التي ذكرتها عند بيان الحكمة في كتاب الله.

ولعل مما يجدر ذكره هنا أن هناك بعض الأحاديث المشتهرة على الألسنة في الحكمة مع أن أسانيدها ضعيفة، مع الإشارة إلى جودة معناها، وأنها لا تخرج عن كونها حكماً، إذا ما يثبت صحة نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ومنها:

1- " إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهداً في الدنيا وقلة منطق، فاقتربوا منه، فإنه يلقن الحكمة " رواه أبو هريرة، وروي عن أبي خلاد، وهو ضعيف [3].

2- " الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها " وفي لفظ: "حيث وجدها جذبها"، وهو مروي عن أبي هريرة وعلي، وهو ضعيف جداً [4].

3- "من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه " روي عن أبي أيوب، وهو ضعيف [5].

---

1 - البخاري (4388)، ومسلم (52).

2 - فتح الباري 6/532، والحكمة في الدعوة إلى الله ص 24.

3 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (508).

4 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (4302).

5 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (5369).

4- " الطمع يذهب الحكمـة من قلـوب العلمـاء" روي عن أنس، وهو موضوع [1].

5- " قلب ليس فيه حكمة كبيت خرب" روي عن ابن عمر، وهو ضعيف [2].

6- " رأس الحكمــة مخافــة الله" روي عن ابن مســعود، وهــو ضعيف [3].

7- " الرفق رأس الحكمة " روي عن جرير، وهو ضعيف [4].

8- " الحكمة عشرة أجزاء، تسـعة منهـا في العزلـة، وواحـد في الصمت " رواه أبو هريرة، وهو حديث ضعيف جداً [5].

9- " الحكمة تزيد الشريف شرفاً، وترفـع العبـد المملـوك حـتى تجلسه مجالس الملوك" روي عن أنس، وهو ضعيف [6].

10- " أنا دار الحكمة وعَلِيٌّ بابها " روي عن علي، وهو موضـوع [7].

---

1 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (3659).

2 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (4107).

3 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (3066).

4 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (3159).

5 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث 2787.

6 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (2786).

7 - انظر: ضعيف الجامع الصغير للألباني حديث (1313).

الحكمة كما عرفها بعض العلماء

هناك عدة تعريفات أخرى للحكمة وهي لا تخرج عن معنى التعريفات السابقة، ولكن ذكرها يزيد الأمر وضوحا، ومن ذلك:

1- قيل: هي وضع الشيء في موضعه [1].

2- وقال ابن القيم: وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك، إنها: معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان [2].

1 - معجم لغة الفقهاء ص 184، والحكمة في الدعوة إلى الله ص 29.

2 - التفسير القيم ص 226.

3- وقال رشيد رضا: الحكمة: العلم الصحيح، الــذي يبعث الإرادة إلى العمل النافع الذي هو الخير [1].

4- قال الرازي: حكم الحكمة والعقل، هو الحكم الصـادق المـبرأ من الزيغ والخلل، وحكم الحسـن والشـهوة والنفس توقـع الإنسـان في البلاء والمحنة [2].

وأخيرا: لعل خير خلاصـة تجمـع أغلب هـذه المعـاني الـتي وردت في الحكمة هي أنهـا: "فعـل [3] مـا ينبغي على الوجـه الـذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي" [4].

ولنأخذ، مثلا، يوضح ذلك:

الأمر بالصلاة، مما ينبغي، والأمر بشـرب الخمـر، لا ينبغي. وعلى الوجه الذي ينبغي، فقد يكـون -الأمـر بالصـلاة- تـذكيرًا، أو أمـرًا، أو ضربا حسب الأحوال [5].

وفي الوقت الذي ينبغي، وذلك بمراعاة الزمـان والمكـان، وهـذا له عدة صور وأحوال تجب مراعاتها.

---

1 - المنار 3/77.

2 - تفسير الرازي 7/67.

3 - والقول فعل.

4 - مدارج السالكين 2/479.

5 - فأمر ابن سبع ليس كأمر ابن عشر، ولا كأمر ابن عشرين، وأمر الابن ليس كأمر الجار أو غيره، فلكل مقام مقال.

أقسام الحكمة

قال ابن القيم: والحكمـة، حكمتـان: علميـة، وعمليـة. فالعلميـة: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفـة ارتبـاط الأسـباب بمسـبباتها، خلقا وأمرا، قدرا وشرعا. والعملية، كما قال صاحب المنازل: وضـع الشيء في موضعه.

قال: وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطي كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه.

الدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ بره في منعه. ومن معاني هذه الدرجة قول أهل الإثبات والسنة: إنها -أي الحكمة- الغايات المحمودة المطلوبة له -سبحانه- بخلقه وأمره، التي أمر لأجلها، وقدر وخلق لأجلها.

الدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشاراتك الغاية. قال ابن القيم: يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر، وهذه هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة على سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء [1].

أمثلة من الحكمة في القرآن الكريم

1 - انظر: مدارج السالكين، منـزلة الحكمة 2/478.

القرآن كله حكمة، (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (يونس: من الآية 1). (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) (هود: من الآية1). ولم لا يكون كذلك، وهو (لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:42).

ولأن موضوعنا مستمد من كتاب الله، ومعالجتي له في ضوء القرآن الكريم، فسأذكر بعض الأمثلة التي تبين منهج الحكمة كما يعرضها القرآن من خلال بعض الوقائع والأحداث.

أولا: قصة أصحاب الكهف

إن قصة أصحاب الكهف -كما ذكرها الله- قصة عجيبة، ولن نقف عند تفصيل القصة، ولكن أشير إلى موضع الحكمة في تصرف هؤلاء الفتية، وقدرتهم على تجاوز المحنة التي مروا بها.

فقد ذكر ابن كثير [1] نقلا عن غير واحد من السلف والخلف أن هؤلاء الفتية كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم، وقد فارقوا قومهم لما رأوا ما هم عليه من عبادة غير الله، حيث كانوا يعبدون الأصنام والطواغيت ويذبحون لها، ولهم ملك جبار عنيد، فاتفقت كلمة هؤلاء الفتية على اعتزال قومهم، واتخاذ مكان يعبدون الله فيه، فعرف بهم قومهم، فوشوا بأمرهم إلى ملكهم، فاستحضرهم بين يديه، فسألهم عن أمرهم، وما هم عليه، فأجابوه بالحق، ودعوه إلى الله وهذا معنى قوله -تعالى- (وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا

1 - انظر: تفسير ابن كثير 3/74.

إِذاً شَـــطَطاً) (الكهـــف:14). ولكن ملكهم أبى دعـــوتهم وتهـــددهم وتوعدهم إن لم يرجعوا إلى دين قومهم، وأعطـاهم مهلـة لينظـروا في أمرهم، وبعد ذلك اجتمعوا وقرروا الفرار بدينهم مرة أخرى إلى مكان آخر، وهو الكهـف الـذي لجـأوا إليـه، وذكـر اللـه لنـا تفاصـيل قصتهم في الكهف.

وتظهر الحكمة في قصتهم بما يلي:

1- أن هـدايتهم إلى دين اللـه، وعـدم تقليـد قـومهم على مـا هم عليه هو عين الحكمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

2- اعتزالهم لقومهم، بعد أن أدركـوا أنـه لا ينفـع معهم نصـح ولا دعوة، وهذه هي العزلـة المشـروعة، وبخاصـة عنـد وقـوع الفتن أو الخشية منها، وهذا مصداق الحـديث الصـحيح: " يوشـك أن يكـون خير مال أحدكم غنم يتبع بها شغف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن " .

3- صمودهم على الحق عند مواجهتهم للباطل.

4- العزلـة الثانيـة، وهي عزلـة سـرية، لأن العزلـة الأولى كـانت عزلة دون تخف، حيث علم بهم قومهم، وعلموا ما هم عليه.

أما هذه العزلـة، فكـانت عزلـة سـرية، لا يعلم مكـانهم، لمـا قـد يترتب على ذلك من مفاسد. (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَـرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُـوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً) (الكهف:20).

وكـأنهم يشـيرون إلى العزلـة الأولى، ثم الفرصـة الـتي أعطيت لهم، حيث علموا أن الفرصة لن تتكرر.

5- حكمتهم في قضاء حـوائجهم، (فَـابْعَثُوا أَحَـدَكُمْ بِـوَرِقِكُمْ هَـذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَـأْتِكُمْ بِـرِزْقٍ مِنْـهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً) (الكهف: من الآية19).

إن هذه القصة، قصة عجيبة، فيها الحكمة، والعـبرة، وبيـان منهج الدعوة، وحسـن استخدام الوسـائل، وتقـدير المصـالح والمفاسـد، ومعرفة ما آلت إليه الأمور، إلى غير ذلك من الدروس والعبر.

ثانيا: قصة سليمان وملكة سبأ

وهي قصـة طويلـة ذكرهـا اللـه في سـورة النمـل، وقـد فصـل المفسـرون فيهـا، وذكـروا فيهـا عـددا من الروايـات، ولم تخـل من الإسرائيليات [1] وسأقتصر على النص القرآني للوقـوف عنـد بعض هذه المواقف التي نلتمس فيها الحكمة في التصرف واتخاذ القرار.

1- وأول موقف نراه هو عناية سليمان برعيته، وتفقده لأحوالهم. (وَتَفَقَّدَ الطَّيْـرَ فَقَـالَ مَـا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُـدَ أَمْ كَـانَ مِنَ الْغَـائِبِينَ) (النمل:20).

2- وسليمان -عليه السلام- لا يتعجل بالحكم على غياب الهدهـد، حيث وضع الاحتمال الأول بالسؤال عن سبب عدم رؤيته، (مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُـدَ) (النمـل: من الآية20). فقـد يكـون موجـودا، ولكن سليمان لم يره لسبب من الأسباب، أم أنه كان من الغائبين!!.

1 - انظر: تفسير سورة النمل في تفسير الطبري، والبغوي، وابن كثير وغيرها.

إنه منهج للتثبت وعدم العجلة، قبل اتخاذ القرار.

3- وعندما تأكد لسليمان - عليه السلام- أنه كان غائبا أصدر القرار العادل:

العذاب الشديد، أو: الذبح، أو: البراءة، وهي التي تنجيه من إحدى هاتين العقوبتين -إن جاء بسلطان مبين- فسليمان -عليه السلام- لم يغتر بملكه وقوته وقدرته ليتسلط على هذا المخلوق الضعيف، لأنه يعلم قدرة الله عليه.

وقد كان احتياط سليمان -عليه السلام- سليما، ووضعه للاحتمالات كان صائبا، فقد ثبتت براءة الهدهد، فقد جاء بسلطان مبين، (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ) (النمل: من الآية22).

إنه منهج للعدل، يرسمه سليمان -عليه السلام- وأسلوب في القيادة يندر له المثيل.

4- يسمع سليمان -عليه السلام- خبر سبأ كما حكاه الهدهد، والخبر في غاية الأهمية، بل إنه خبر يزلزل الجبال، ملك قوي، وعرش عظيم، ويعبدون غير الله، كل هذا وهم في جوار سليمان، فقد يهددون ملكه ذات يوم [1] ومع هذا فلا يتعجل -عليه السلام- ويلتزم منهج التثبت، مع أنه يعلم أن الهدهد أقل من أن يكذب عليه [2] وبخاصة أن الهدهد بحاجة إلى براءة ساحته بعد تخلفه وغيابه، فمن المستبعد أن يضيف إلى ذلك جريمة لا تغتفر، فإذا كانت

---

1 - وأصل المشكلة في عبادتهم لغير الله، وتأثير ذلك على غيرهم.

2 - ولا يعني هذا أن الهدهد يكذب على غيره، ولكن يعد كذبه على سليمان أشد.

عقوبة الغياب بدون إذن هو العذاب أو القتل، فماذا ستكون عقوبة الكذب؟! والهدهد يعلم أن سليمان لا يخفى عليه الكذب، ومع أن كل الدلائل تشير إلى صدق الهدهد، وبعده عن الكذب فإن سليمان -عليه السلام- لا تاخذه العاطفة، ويظل ملتزما بمنهج التثبت، (قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) (النمل:27). وهذا عين الحكمة وأساسها.

5- ويكتب سليمان -عليه السلام- الرسالة، وأي رسالة، وبأي أسلوب، حتى مع أعدائه، وهم مشركون -أيضا-، إنه أسلوب رائع حكيم، يقتحم شغاف القلوب ويسيطر عليها، مع الإيجاز والقوة والبيان (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) (النمل:31).

6- وعندما يسمع المرء خبر الهدهد، وأن هؤلاء القوم قد ولوا امرأة يتملكه العجب! أليس فيهم رجال؟!! ولكن عندما يرى كيف كانت هذه المرأة تقود قومها؟! وحنكتها، وسياستها، وحكمتها، لا يستغرب ذلك، ويدرك سر هذا الاختيار [1] ولننظر إلى شيء من حكمتها في قيادة قومها.

(أ) فهي أولا تلتزم بالشورى منهجا وسلوكا، ولا تقطع أمرا دون عقلاء قومها، وهم ملؤها.

(ب) عندما فوضها قومها باتخاذ القرار المناسب، كانت حكيمة وعاقلة فلم تستخف بقوة سليمان، ولم يدخلها الغرور بقول قومها: (نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ)

---

1 - وتولية المرأة الإمامة العظمى غير جائز عند جماهير العلماء وهو الراجح، ولكن هؤلاء القوم كفار، وليس بعد الكفر ذنب.

(النمل: من الآية33). بل كان رأيها الصائب وموقفها الحكيم، (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) (النمل: من الآية34). ولهذا كان لا بد من اتخاذ خطوة عملية تكشف حقيقة عدوها قبل الدخول في معركة قد تكون خاسرة، (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) (النمل:35).

ولهذا فقد وصف الحسن -رحمه الله- هذه المرأة، قائلا: كانت هي أحزم رأيا منهم، وأعلم بأمر سليمان، وأنه لا قبل لها بجيوشه وجنوده [1].

7- ونستمر مع هذه التصرفات الحكيمة، والقرارات الصائبة، حيث جاء جواب سليمان على رسالتها -الهدية- (أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) (النمل:36، 37).

قارنوا بين الرسالة الأولى في رقتها ولينها وقوتها، وبين هذه الرسالة في صرامتها وحزمها وبلاغة أسلوبها، وهذه هي الحكمة، "وضع الشيء في موضعه" فالبداية كانت تقتضي مثل تلك الرسالة، والنهاية تقتضي هذه الرسالة، ولقد فعل سليمان -عليه السلام- ما ينبغي، كما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، ولا غرو فقد آتاه الله الملك والحكمة، كما آتى أباه -عليهما السلام-.

---

1 - انظر: تفسير ابن كثير 3/362.

8- وأخيرا تتخذ هذه المرأة القرار الحاسم، الحكيم، الـذي يعجـز عن اتخاذه كثير من الرجال بسبب الهوى، والتعصب، والتقليـد، إنـه قرار الاستجابة لسليمان -عليه السلام- ودعوته، طائعة مختارة.

9- أما غاية الحكمة وذروتها، فهو موقف سليمان -عليـه السـلام- مما حدث، فهل داخله العجب والغرور، أو نسـب الفضـل لنفسـه ؟ حاشاه من ذلك، بل قـال: (هَـذَا مِنْ فَضْـلِ رَبِّي لِيَبْلُـوَنِي أَأَشْـكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَـرِيمٌ) (النمل: من الآية40).

مـا أحوجنـا إلى تأمـل هـذه القصـة! والإفـادة ممـا فيهـا، بجميـع أطرافها: سليمان -عليه السلام-، ملكة سبأ، الهدهد.

إن إبـراز مـواطن الحكمـة في هـذه القصـة تـبرز من خلال ما يلي:

1- العدل.

2- التثبت.

3- بُعدُ الرؤية، وسعة الأفق.

4- إتقان قاعدة المصالح والمفاسد.

5- القوة بدون عنف، واللين بدون ضعف.

6- أداء المسئولية على وجهها.

7- الشورى.

8- نسبة الفضل لأهله.

9- التنبه والحذر من الاستدراج.

10- القوة في اتخاذ القرار في الوقت المناسب.

ثالثا: قصة لقمان وابنه

شهد الله بحكمة لقمان -عليه السلام- مع أن القول الـراجح أنـه ليس نبيا [1].

وقد ورد في حكمة لقمان، آثار كثيرة، ذكرها المفسـرون، ومنهـا ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف، ولكنني سأقف مع ما نلمسـه من حكمة في القصة التي ذكرها القرآن حين وصى لقمان ابنه:

1- وأول مـا يشـدنا في هـذه القصـة حسـن الأسـلوب الـذي يستخدمه لقمان أثناء دعوته لابنه، حتى إنه يخاطبـه بـأحب الألقـاب إليه، وأقربها إلى نفسه "يـا بـني" وبهـذا يتمكن من السـيطرة على قلبه وعقله، وذلك أدعى لقبـول النصـح والوعـظ، وأن مبعثـه الحب والشفقة والقربى.

2- أن لقمـان جمـع في وعظـه لابنـه بين الأصـول والفـروع، والأقوال، والأفعـال، والاعتقـاد، والأمـر، والنهي. فهـا هـو ينهـاه عن الشـرك، ثم يـأمره بالصـلاة، ويـذكره بعـدل اللـه، وشـمول علمـه وإحاطتـه، ثم نجـده يـأمره بـأن يقـوم بشـعيرة الأمـر بـالمعروف، والنهي عن المنكر، وينهـاه عن الكـبر، والخيلاء، والعجب، والغـرور. حتى مشيته يبين له كيف تكون، وصوته له ضوابط وموازين.

3- أن وصايا لقمـان لابنـه بلغت عشـرا بين أمـر، ونهي، وإخبـار، في معنى الأمر أو النهي، كل هذا في كلمات قصـيرة جميلـة بعيـدة

---

1 - انظر: تفسير ابن كثير 3/443، وتفسير القاسمي 3/4796.

عن التكلـف، وهـذا من الحكمـة، ولهـذا جـاءت الحكم والأمثـال من كلمات قصيرة المبنى كبـيرة المعـنى، وهـذا مـا نلمسـه في وصـية لقمان لابنه.

4- أن الداعيــة يخــرج من قصــة لقمــان بعــدة دروس أهمها:

(أ) حسن الأسلوب، واختيار أفضل الكلمات للوصـول إلى قلـوب المدعوين.

(ب) التركيز على الأصول من التوحيـد وغـيره، مـع عـدم الإخلال بالفروع.

(جـ) الإيجاز مع التركيز والشمول.

(د) أن الأمر بـالمعروف، والنهي عن المنكــر، ليس بـالأمر الهين واليسير، ولذا يخشى على صاحبه من المزالـق، ويسـتطيع الداعيـة أن يتخلص من ذلك بالصبر، والتواضع، والـتزام منهج الوسـطية في أموره كلها.

وبعد:

فهذه وقفة سريعة مع هـذه القصـة العظيمـة الـتي تنبض حكمـة وعلما وفقها (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) (البقـرة: من الآية269).

أمثلة من الحكمة في السنة النبوية

تجري الحكمة على لسان رسول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم كالماء الزلال، وأفعاله صلى الله عليه و سـلم كلهـا عين الحكمـة، فهو المعصوم من الزلل والخطأ.

وسـأختار بعض الأمثلـة، لبيـان الحكمـة في السـنة، مكتفيـا من القلادة بما أحاط بالعنق:

1- فنجد حكمته صلى الله عليه و سـلم في حسـن تعاملـه مـع أصحابه ومراعاته لأحوالهم، وهذا أكـثر من أن يحصـى، وأشـهر من أن يؤتى له بمثال.

2- إجابة الرسول صلى الله عليه و سلم للسائلين، حيث قد يبدو الخلاف والتعارض -أحيانا- بينها، بينما هي من اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وذلك لحكمة عظيمة، وهي مراعاة حال السائلين، ولنأخذ هذا المثال:

(أ) " سأل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم قائلا: يا رسول الله! أي العمل أفضل؟ قال: "الصلاة على ميقاتها"، قلت: ثم أي؟ قال: "بر الوالدين"، قلت: ثم أي؟ قال: "الجهاد في سبيل الله"، فسكت عن رسول الله، ولو استزدته لزادني " رواه البخاري [1].

(ب) وعن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: " يا رسول الله! نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد ؟ قال: لكن أفضل الجهاد حج مبرور " رواه البخاري [2].

(جـ) وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه " أن رجلا قال: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله" " رواه أحمد والترمذي [3].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي سأل أصحابها عن أفضل العمل، فاختلفت إجابة رسول الله صلى الله عليه و سلم مراعاة لحال السائلين، وإدراكا منه صلى الله عليه و سلم أن ما يستطيعه هذا

---

1 - رواه البخاري (2782).

2 - رواه البخاري (2784).

3 - أحمد (4/194)، صحيح الترمذي للألباني (3/139) وانظر: الحكمة في الدعوة إلى الله ص 47.

قد لا يستطيعه ذاك، إلى غير ذلـك من الأسـباب الـتي يـراعى فيهـا حال الفرد وحاجة الأمة وقواعد الشرع.

ولو أن الدعاة استطاعوا أن يكلفـوا كـل إنسـان بمـا يحسـنه [1] ويبتعد عما لا يستطيع، لحققت الأمة اكتفاء ذاتيا في أغلب مجالاتها.

ولكن واقع أغلب الناس، كما قال الشاعر:

ومكلـف الأشـياء ضـدّ طباعهـا   متطلب في المـاء جـذوة نـار

3- وانظر إلى هذا الأسلوب الحكيم من لدنه صلى اللـه عليـه و سلم لمعالجة قضية مهمة تحتاج إلى الحكمة، وبعد النظر.

عن أبي أمامة الباهلي رضي اللـه عنـه قـال: " إن فـتى شـابا أتى إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال: " يا رسول الله ائـذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مـه، فقـال: ادنـه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمـك ؟ قـال: لا واللـه!! -جعلني الله فداك- قال: ولا النـاس يحبونـه لأمهـاتهم، قـال: أفتحبـه لابنتك ؟ قال: لا والله!! يا رسول الله -جعلني الله فـداك- قـال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا واللـه!! -جعلـني الله فداك- قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قـال: أفتحبـه لعمتـك؟ قال: لا والله!! -جعلني الله فداك- قال: ولا الناس يحبونه لعمـاتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله!! -جعلني الله فـداك-، قـال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضـع يـده عليـه، وقـال: اللهم اغفـر

---

1 - عدا الواجبات وفروض العين.

ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء " رواه أحمد [1].

أرأيتم مثل هذا الأسلوب، كيف جاء هذا الشاب وقد هاجت شهوته، ورغب في الحرام، وعاد عفيفا محصنا بعيدا عن الشهوة والشبهة.

4- ولعل من أهم الأمثلة في هذا المجال، قصة الحديبية، وما وقع فيها من أحداث كانت تقتضي الحكمة في أسمى معانيها، وإلا لحدثت أمور لا تحمد عقباها.

ويصعب التفصيل في ذلك، حيث لا يتسع المجال له -حسب المنهج الذي رسمته- ولكن سأقتصر على قضية واحدة لتكون لنا عبرة ونبراسا، وتلك القضية هي كتابة الصلح، ولنقرأ كما في صحيح البخاري، وفيه:

" فدعا النبي صلى الله عليه و سلم الكاتب فقال النبي صلى الله عليه و سلم اكتب: فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: اكتب: باسمك اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال النبي- صلى الله

1 - مسند الإمام أحمد 5/256، وقد صححه الألباني.

عليه وسلم-: والله إني لرسول الله، وإن كـذبتموني، اكتب: محمـد بن عبد الله... الحديث [2] " .

إن التأمـل في هـذه الحادثـة العظيمـة، يـبين لنـا مقـدار حكمـة رسول الله صلى الله عليه و سلم وعدم اسـتجابته للاسـتفزاز، أو الوقوف عنـد أمـر فيـه سـعة مـع أنـه يحقـق، للمسـلمين مكاسـب بـاهرة، وهـذا من بـاب النظـر في المصـلحتين والسـعي لتحصـيل أعلاهما، ولذلك جاءت النتيجة بتسـمية اللـه لهـذا الصـلح فتحـا، (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً) (الفتح:1).

وقادة الدعوة بحاجة إلى وعي هـذه الـدروس، وعـدم الاسـتجابة لضغط القاعدة إذا كان خلاف الحق، أو أن هنـاك مـا هـو أولى ممـا يريده هؤلاء. (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) (البقـرة: من الآية269).

ولئلا يتوهم متوهم أن الحكمة تقتضي التنازل دائما إذا كان الأمر في مصـلحة الإسـلام والمسـلمين، كمـا هـو واقـع بعض العـاملين للإسلام، والمتحمسين للدعوة، ممن ينقصهم العلم الشرعي، وهـذا خلل في المنهج، وخطـأ في التصـرف، وبخاصـة أن هـؤلاء يحتجـون دائما بقصة الحديبية، عند كل تنازل يقدمونه.

من أجل هذا أبين أن هناك قضايا لا تقبل التنازل أبدا، وهـذه هي الحكمة، وهذا كثير جدا في كتـاب اللـه، وسـنة رسـوله صـلى اللـه عليـه و سـلم وفعـل الخلفـاء الراشـدين، ومن ذلـك سـبب نــزول

2 - صحيح البخاري 3/100.

سـورة (الكـافرون) (قُـلْ يَـا أَيُّهَـا الْكَـافِرُونَ لا أَعْبُـدُ مَـا تَعْبُـدُونَ) (الكافرون:1، 2).

وكذلك قصة قريش مع رسول الله، عندما طلبوا أن يخصص لهم مجلسـا دون الضـعفة من المسـلمين، فنـــزل قولـه -تعـالى-: (وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيـدُونَ وَجْهَـهُ) (الأنعـام: من الآية52). وقوله: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَـدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَـةَ الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَـا وَاتَّبَـعَ هَـوَاهُ وَكَـانَ أَمْـرُهُ فُرُطـاً) (الكهف:28).

وكذلك عندما جاء وفد ثقيف إلى رسول الله صلى اللـه عليـه و سلم ودعاهم إلى الإسلام، اشترطوا أن يدع لهم اللات ثلاث سنين -لا يهدمها- فأبى رسول الله -صلى اله عليه وسلم- ذلك، حتى إنهم تنازلوا شيئا فشيئا إلى أن طلبوا إمهال هـدمها شـهرا واحـدا، فـأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم .

ولكنهم عنـدما طلبـوا ألا يكسـروا أوثـانهم بأيـديهم، وافقهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم للفرق بين الطلـبين، وهنـا يتميز الحكيم عن غيره، وهو الذي يتنازل عن الكل أو يـرفض الكـل مع الفرق بينهما [1].

أما أبو بكر وقصته في حرب الردة، وعدم تنازله عن شـعيرة من شعائر الإسلام، وقوله كلمته الخالدة: " والله لـو منعـوني عناقـا -أو

1 - انظر: سيرة ابن هشام 4/197 وتخريج العلماء للأثر في كتاب الحكمة في الدعوة إلى الله ص 74 وقد ضعفه الألباني في فقه السيرة وحسنه غيره.

عقـالا- كـانوا يؤدونهـا إلى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم لقاتلتهم عليها".

وحيث يبين أنه سيسوي بين من ترك الصلاة، ومنـع الزكـاة، ولن يقبل التفريق بينهمـا، والقصـة مفصـلة في كتب الحـديث والسـيرة .[1]

وهذه هي الحكمة كما عرفناها، هذا ما شهد بـه عمـر -الفـاروق- حيث كان مخالفا لأبي بكر في أول الأمر، ثم عـرف أنـه الحـق لمـا شرح الله صدر أبي بكر وثبت عليه.

5- أمــا أعظم أمــر رأيت الحكمــة متمثلــة فيــه من خلال منهج القرآن الكريم، وسنة الرسول صلى الله عليه و سلم فهو معالجة قضية المنافقين، وهو العلاج الذي اسـتمر منـذ هجرتـه صـلى اللـه عليه و سلم إلى المدينة وحتى غزوة تبـوك، بـل إلى وفاتـه صـلى الله عليه و سلم .

وكما شغل حيزا كبـيرا من وقتـه صـلى اللـه عليـه و سـلم في المدينة، فقد نـزلت فيها آيات كثيرة جدا في كتاب الله، حتى نـزلت سورة كاملة في هذا الموضوع.

وقد اتسم علاج هذه المشكلة بعدة سمات، من أبرزها:

1- طول المدة، وهي ما بين هجرته إلى قبيل وفاتـه صـلى اللـه عليه و سلم وهذا يدل على الصبر العظيم، الـذي تحلى بـه رسـول الله صلى الله عليـه و سـلم وهـو يعـالج هـذه المشـكلة العويصـة بتؤدة وروية.

---

1 - انظر: فتح الباري 3/362 كتاب الزكاة.

2- الآيات الكثيرة التي نـزلت في القضية، حيث لا يقاربها قضـية أخرى إلا قضية الشرك والمشركين، وقضـية أهـل الكتـاب. واللـه - سبحانه- قادر على حسمها في آية واحدة، ولكن القرآن جاء ليرسم منهجا للبشر فيه صفة الشمول والديمومة، لأنه دين عالمي.

3- الحرص على وحدة الصف، مـع عـدم السـكوت عن الباطـل، وإقراره، أو هذه مسـألة يغفـل عنهـا كثـير من الـدعاة، وقـد تحقـق الأمــران، فبقي الصــف المســلم موحــدا، وتم القضــاء على فتنــة المنافقين بأساليب عدة.

4- أخذ الناس بظواهرهم، وترك سـرائرهم إلى اللـه، وهـو منهج فريد تميز به الإسلام عن سائر النظم والأديان، ومـع أن المنــافقين أشد كفرا من المشركين فلم يؤاخـذوا إلا بمـا ظهـر منهم، مـع علم الرسول صلى الله عليه و سلم بما هم عليه من النفاق والكفر.

ولكن القضــية قضــية منهج، وليســت قضــية أفــراد يتم القضــاء عليهم، ثم ينتهي الأمر، لأن المسـألة أعمـق من ذلـك وأبعـد، فجـاء العلاج متوازيا مع حجم المشكلة وأبعادها وآثارها.

5- المحافظــة على هيبــة المجتمــع المســلم في نظــر الأعــداء والخصوم، "لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصـحابه" [1] وبخاصـة مع كثرة الأعداء، واستغلالهم لكل فرصة تسنح لهم داخل الصف.

6- تركيز القرآن على الصفات وعدم ذكـر الأفـراد، حيث لم يـرد في القرآن اسم منافق واحد.

---

1 - رواه البخاري 4/160.

وهذا المنهج حقق آثارا إيجابية ضخمة، وكـان كفيلا بالقضـاء على هذه الحركـة مـع تجـاوز السـلبيات المتوقعـة، ولهـذا قـال الرسـول صلى الله عليه و سلم في نهاية المطاف ردا على عمر -الفـاروق- الذي طالما طالب بقتل المنافقين حمية لدين الله: "أين عمـر؟ لـو قتلنا هؤلاء يوم طلب عمـر لأرعـدت لهم أنـوف تريـد اليـوم قتلهم"[2]. وهذا المنهج هـو الـذي أدى إلى قتلهم معنويـا، دون الحاجـة إلى قتل أي فرد منهم حسيا.

وهذه -والله- هي الحكمة في أسمى معانيها.

إننا اليوم بأمس الحاجة إلى دراسة منهج مواجهـة حركـة النفـاق في الصـدر الأول، ومن ذلـك دراسـة الآيـات الـتي نــزلت في هـذه القضية، وبخاصة في سور (البقرة -التوبة -الأحزاب -المنافقون).

وبهذا نستطيع أن نحقق ما يلي:

1- معرفة الوسائل الموصـلة إلى الكشـف عن هويـة المنـافقين في مجتمعنا، ومدى تأثيرهم في المجتمع.

2- رسم منهج شرعي لمواجهة هذه الحركـة، وأسـلوب التعامـل معها.

3- شل فاعليتها، ثم القضاء عليها دون إحداث فتن داخل الصـف المسلم.

ولن يتحقـق هـذا الأمـر إلا بـالالتزام بالحكمـة الـتي رأينـا بعض مظاهرها، وسـماتها في منهج القـرآن، والسـنة، عنـد معالجـة هـذه القضية الكبرى.

2 - انظر: تفسير الطبري 28/76، وسيرة ابن هشام 3/327.

خوارم الحكمة وموانعها

من المهم ونحن نعـالج موضـوع الحكمـة أن نـذكر أهم الأسـباب التي تمنع من تحقق الحكمة، وتحول دون وجودها.

ولم أجـد من دون هـذه الموانـع [1] مجتمعـة -حسـب اطلاعي- ولكنني بالاستقراء والتتبع حاولت أن أقف على هذه الخـوارم، وقـد وفقني الله إلى شيء من ذلك، فله الحمد والمنة.

1- الهوى وعدم التجرد:

يقول -سـبحانه-: (وَلا تَتَّبِـعِ الْهَـوَى فَيُضِـلَّكَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ) (صّ: من الآية26). ويقول: (أَنَّمَـا يَتَّبِعُـونَ أَهْـوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَـلُّ مِمَّنِ اتَّبَـعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ) (القصص: من الآية50). وقـال: (وَلَـوِ اتَّبَـعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَـدَتِ السَّـمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) (المؤمنـون: من الآية 71). والآيات في ذم الهوى كثـيرة جـدا، وكلهـا تـدل على اسـتحالة اجتماع الحكمة والهوى، وتأمل في هاتين الآيـتين ليتضـح مـا أقـول: (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) (المائدة: من الآية 49). والحكم بما أنـزل الله هو مقتضى الحكمة[2].

---

1 - انظر: مدارج السالكين لابن القيم في منـزلة الحكمة 2/480 فقد ذكر بعضها، كالجهل والطيش.

2 - لأن تعريف الحكمة والعدل متقارب، بل العدل حكمة، والحكمة عدل لأن كلا منهما وضع الشيء في موضعه.

وفي آية أخرى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (محمد:14).

وفي حديث الرسول صلى الله عليه و سلم في بيان وقت العزلة: " فإذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك... " الحديث [3].

وهذا دليل على فقدان الحكمة وذهابها. والحكمة منبعها العقل، بل إن معناهما واشتقاقهما متقارب، فكلاهما يدلان على المنع مما لا ينبغي، ومن هنا جاء الشاعر يبين تأثير الهوى على الحكمة:

وآفة العقل الهوى فمن علا ... على هواه عقله فقد نجا

والهوى يعمي، ويصم، كما قال شيخ الإسلام، فمن كانت هذه حاله فأنى له الحكمة.

2- الجهل:

والجهل ضد العلم، وما وجد الجهل في شيء إلا شانه، وما نزع من شيء إلا زانه، والتأمل في هذه الآيات يبين تأثير الجهل، وأنه والحكمة لا يجتمعان، حيث ذكر الله -سبحانه- في أكثر من آية أن سبب عدم توفيقهم للحق والحكمة هو الجهل:

(قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) (الزمر:64). (قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (البقرة: من الآية67). (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة:50). (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (هود:

---

3 - ابن ماجة (4014).

من الآية46). ومن خلال هذه الآيـات وأمثالهـا يتضح لنـا تـأثير الجهـل على الحكمـة، وأنـه من خوارمها، ولذا قال الشاعر:

وفي الجهــــل قبـــل المــوت مــوت لأهلــه وأجســـــــــادهم دون القبـــــــور قبـــــــور

فهل ننتظر الحكمة من الأموات؟

3- الأخذ بظواهر النصوص، وعدم الجمع بين الأدلة.

وذلـك كمنهج الظاهريـة في الأخـذ بظـواهر النصـوص، ولـذا لم يوفقوا للصواب في كثير من المسائل، وهل الحكمة إلا الإصابة في القول والعمل -كما سبق-؟

أما عدم الجمع بين الأدلة فهو مزلق آخر من المزالـق الـتي يقـع فيها بعض طلاب العلم، فيعتمدون على دليل دون آخر، وهـذا يـؤدي إلى اتخـاذ بعض المواقـف بعيـدا عن الحكمـة، وهم يحسـبون أنهم يحسنون صنعا، ففطن لشيء، ولكن غابت عنه أشياء.

ومن ذلـك الاسـتدلال بقولـه -تعـالى-: (أَلَّا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَـانِ إِلَّا مَـا سَـعَى) (النجم:38،ــ 39). ويغفـل عن الأحاديث التي تبين أن الإنسان قد يكون آثمـا إذا رأى منكـرا عملـه غيره فلم يغيره، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه، حسب استطاعته.

وكذلك يغفل عن الأحاديث التي تبين مشاركة المسلم لغيره في الأجـر، كمـا ورد في أحـاديث كثـيرة. ومنهـا: " إذا مـات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث " الحديث [1].

---

1 - مسلم (1631)، انظر: تفصيل ذلك في تفسير ابن كثير 4/257.

ومثل ذلك الاستدلال بقوله -تعالى-: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الأعراف:204). على وجوب الإنصات مطلقا، ويغفل الأحاديث الواجبة في قراءة الفاتحة في الصلاة حتى مع قراءة الإمام [1].

4- الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها:

وهذا يختلف عن السابق، لأنه استخدام للدليل في غير موضعه، والأمثلة توضح ذلك:

(أ) فكم سمعنا من الناس من إذا طلب منه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر قال: مالي وللناس، فلم أكلف بهم، والله يقول: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ((المائدة: من الآية105).

وقد روى الإمام أحمد أن أبا بكر الصديق قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) (المائدة: من الآية105). وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: " إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك الله أن يعمهم بعقابه " .

قال ابن كثير: وقد روى هذا الحديث أصحاب السنن الأربعة، وابن حبان في صحيحه، وغيرهم من طرق كثيرة، عن جماعة كثيرة، عن إسماعيل بن أبي خالد به متصلا مرفوعا، ومنهم من

1 - والمسألة خلافية، ومحل ذلك كتب الفقه، وإنما المراد التمثيل على استخدام دليل دون آخر.

رواه عنه به موقوفا على الصديق وقد رجح رفعه الدارقطني وغيره [2].

(ب) ومن الاستدلال بالأدلة في غير مواضعها، استدلال كثير من الناس بقوله -تعالى-: (وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (البقرة: من الآية195). وبخاصة عند تبرير عدم المشاركة في الجهاد في سبيل الله، ولم يعلموا أن هذا الدليل حجة عليهم لا لهم، ولننظر في هذا الحديث.

روى الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران، قال: " حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه، ومعنا أبو أيوب الأنصاري، فقال ناس: ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: نحن أعلم بهذه الآية، إنما نزلت فينا، صحبنا رسول الله صلى الله عليه و سلم وشهدنا معه المشاهد، ونصرناه، فلما فشا الإسلام وظهر، اجتمعنا معشر الأنصار تحببا،فقلنا: قد أكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه و سلم ونصره حتى فشا الإسلام، وكثر أهله، وكنا قد آثرناه على الأهلين والأموال والأولاد، وقد وضعت الحرب أوزارها، فنرجع إلى أهلينا وأولادنا فنقيم فيهم فنزل قوله -تعالى-: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (البقرة: من الآية195). فكانت التهلكة في الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد" [1].

2 - الترمذي (3059). أبو داود (4338)، ابن ماجة (4005). قال عنه ابن حجر جيد الإسناد انظر: تهذيب التهذيب.

1 - قال ابن كثير 1/228: رواه أبو داود والترمذي والنسائي وعبد بن حميد في تفسيره وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه والحافظ أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه كلهم من حديث يزيد بن حبيب، وقال الترمذي حسن صحيح غريب، وقال الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والأمثلة في هذا كثيرة جدا، والاستدلال بها على هذا الوجه يخالف الحكمة وينافيها.

5- عدم فهم الدليل:

وذلك بأن يكون الدليل صحيحا، والاستشهاد به في موضعه، ولكنه لا يفهم الدليل على وجهه الصحيح -وذلك فرع عن الجهل- وهنا يخالف الحكمة في تصرفه، وأسلوب تطبيقه. ومثال ذلك:

أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال: " مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر " [1] الحديث.

فيأتي فيضرب ابنه ضربا مبرحا وغليظا، وهذا غير مراد من الحديث، وهو يخالف الحكمة، لأن المراد هو الضرب غير المبرح الموجع، لأن الطفل لم يكلف بعد، فمن كان في سن العاشرة أو الحادية عشرة فلم يبلغ سن التكليف، فكيف نعاقبه عقابا شديدا، والمراد هو التربية والتعويد، لا العقاب والتعزير.

وكذلك قوله -تعالى-: (وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ) (النساء: من الآية34).

فيأتي الزوج، ولا يفهم معنى هذه الآية، ويقول: إن الواو لا تقتضي ترتيبا، ولا تعقيبا، فيبدأ بالضرب قبل الوعظ والهجر، ويأتي آخر ويضرب زوجته ضربا شديدا مؤلما، وكل هذا خلاف الحكمة وناشئ من قصور الفهم.

6- قلة التجربة والفردية:

1 - أبو داود (496،4113)، وأحمد: 2/187. قال الأرناؤوط في شرح السنة: 9/22 إسناده حسن.

ولـذا نجـد أن بعض تصـرفات الشـباب تخـالف الحممـة لقلـة تجربتهم ومحدوديتها وضعفها.

7- أما الفردية:

وهي من خوارم الحكمة الظاهرة، لذا قال الرسـول صـلى اللـه عليه و سلم " إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية "[1].

وقال الشاعر:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد بـــــــــــه

رغم الخلاف، ورأي الفـــــرد يشــــقيها

وسـيأتي مزيـد بيـان لـذلك في الحـديث عن أركـان الحكمـة وأسسها.

ثلاث خوارم متقاربة

8- عدم تحديد الأهداف.

9- النظرة السطحية.

10- آنية التفكير وموسمية العمل والارتجال.

إن هذه العوائق الثلاثة متقاربة في معناهـا، وحقيقتهـا، وإن كـان كل واحـد منهـا يحمـل معـنى خاصـا، ونسـتطيع أن نقـول: إن بينهـا عموما وخصوصا.

فعـدم تحديـد الأهـداف ورسـمها بدقـة يـؤدي إلى آنيـة التفكـير وموسمية العمل، وهذا هو الارتجال بعينه، وهذا الأمر لا ينشـأ عـادة إلا من النظرة السطحية للأمـور، والوقـوف عنـد ظـواهر الأحـداث، دون النظر في أسبابها، ومآلاتها وآثارهـا، والنتيجـة الطبيعيـة لاتخـاذ

1 - رواه أبو داود (547)، النسائي 2/106 وحسنه الألباني في صحيح الجامع (5701).

القرار، والموقف من الحدث، هو عدم تطابق ما يتخذ من قرار مع ما يستوجبه الحدث، وبالتالي يجانب الحكمة، لأن الحكمة هي وضع الشيء في موضعه.

وهذا مثل: طبيب جاءه مريض، وقد بدت بعض البثور على وجهه، فقام الطبيب بوصف بعض المراهم التي تزيل البثور، دون البحث في تحليل أسباب هذا المرض، والنتيجة هي عودة البثور بين فترة وأخرى، لعدم القضاء على أسبابها.

ومثل ذلك: من في أسنانه تسوس، ويشكو من آلامها، فكلما جاء إلى الطبيب أعطاه ما يسكن الألم، ويستمر الألم يعاوده، والطبيب مستمر في وصف المسكنات، دون اتخاذ العلاج الحاسم بإزالة التسوس، حتى لو أدى إلى إزالة السن ذاته، لأن بقاء التسوس سيجعله يقضي على بقية السن، أو قد ينتقل المرض إلى العصب وبقية الأسنان إذا أهملت الأسباب، وتم تجاهل حقيقة المرض.

ومثل ذلك نقول في الأحداث، وما نواجهه من أمور تحتاج إلى علاج حاسم ذي أهداف محددة.

11- تقديم الجزئيات على الكليات

وهذا ناشئ من قصور العلم، وقصر النظر، وهذا الأمر ابتلينا به كثيرا في عصرنا الحاضر، وفي بعض دول العالم الإسلامي.

وأدرك أعداء الإسلام هذه الثغرة، فأقاموا بعض شعائر الإسلام الجزئية، وهدموا أصوله وأركانه.

يعاقبون المفطر في رمضان، ولكنهم لا يزيلون مظاهر الشــرك، ولا يأمرون بالصلاة، فضلا عن أن يعاقبوا تاركها.

يقــرأون القــرآن في الإذاعــة، وينقلــون خطبــة الجمعــة في التلفزيون، ولكنهم يتحاكمون إلى شريعة الطاغوت.

ورأينـا عـددا من النـاس يغضـبون إذا رأوا شـارب الـدخان، وهـو منكر -ولا شك-، ولكنهم لا يحركون ساكنا عنـدما يـرون الربـا، وقـد ضرب في الأرض أطنابه، وينفعلـون إذا خـرجت امـرأة سـافرة عن وجهها -وهذا محرم بالكتاب والسنة- ولكنهم يتجاهلون دخول اليهود والنصارى والوثنيين إلى بلاد المسلمين، وإقامتهم بين ظهرانيهم.

ولتتضح الصورة أكثر أضرب هذا المثال:

مريض أصيب بالزائدة، فذهب إلى المستشفى مسـرعا فأصـابته شوكة في أصبعه، فلما وصل انشغل الطبيب بالأصـبع وشـوكته عن الزائدة، التي قد تنفجر بين لحظة وأخرى، فتودي بصاحبها.

أين الحكمة في هذا التصرف؟

12- العجلة وعدم ضبط النفس

العجلة من الشيطان، وإذا ابتلي إنسـان بهـذه الخصـلة الذميمـة، سـتقوده إلى المهالـك، ومن آثـار العجلـة ومظاهرهـا عـدم ضـبط النفس في المواقف التي تحتاج إلى تأن، وتؤدة وروية.

وأكثر أسباب الندم ناتج عن العجلة والانفعال غير المنضبط، وهنا تكون النتيجة غير محمودة.

من غـرس الحنظـل لا يـــــــــــــرتجي
أن يجتــني الســكر من غرســـــــــــــته

13- الخلط في المفاهيم

الحكيم لا بـد أن ينطلـق من مفـاهيم صـحيحة، وقواعـد ثابتـة، مستمدة من الكتـاب والسـنة، وإذا اختلطت المفـاهيم لـدى المـرء وتشابهت الأمور، لن يصل إلى مبتغـاه، وسـيتخبط في سـيره، ومن الملحوظ في عصرنا الحاضر اختلاط كثـير من المفـاهيم على كثـير من طلاب العلم والدعاة ومن ذلك:

(أ) الخلط في مفهوم خوف الفتنة، حتى أصبح سيفا مصـلتا على رؤوس الداعين إلى الله، الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكـر، فكلما أمر آمر بمعروف، أو نهى ناه عن منكـر، قيـل لـه: إنـك تثـير الفتنة، ولم يعلم أولئك أنهم في الفتنة سقطوا، وكان من نتيجة هذا الأمر، أن استمرت الأمة تقدم التنـازلات الواحـد تلـو الآخـر، وبعض الدعاة ساكتون أو مسكتون خوف الفتنة، حتى ضرب الكفـر أوتـاده في بلاد المسـلمين، وهـذه هي الفتنـة الحقيقية (وَقَـاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) (البقرة: من الآية193).

(ب) ومن الخلـط في المفـاهيم، الخلـط بين الحزبيـة والانتمـاء، حتى سوى الكثير بينهما، مع الفارق الكبير.

فالحزبيـة مذمومـة، وهـو تحـزب المسـلمين بعضـهم ضـد بعض، فالمسلمون لا يكونـون إلا حزبـا واحـدا، ضـد الكفـر وأهلـه. (أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (المجادلة: من الآية22).

أما الانتماء لأهل السنة والجماعة ولجماعـة المسـلمين ومنهجهم فهو مشروع: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) (آل عمــران: من الآية103). (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) (آل عمران: من الآية110). (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ) (آل عمران: من الآية104).

والمذموم هو الانتماء لأهل الباطل وللأحزاب البدعية، وهذا ليس من الانتماء المشروع في شيء.

ونتيجة للخلط في هذا المفهوم جانبت الحكمـة بعض المنتسـبين إلى الـدعوة، فبـدلا من أن يـدعو إلى الوحـدة والائتلاف، دعـوا إلى الفردية والتفرق، وهم لا يريـدون ذلـك -ولا شـك-، ولكن من يـزرع الشوك لا يقطف العنبا.

(جـ) ومن الأمثلة -أيضا- في خلط المفاهيم الخلط بين الوسـائل والغايات، وكذلك الخلط بين الثوابت والمتغيرات.

وكذلك عدم إدراك الفرق بين حب السلف، وفهم منهج السـلف، والالتزام بمنهج السلف، فليس حب السلف وحـده كافيـا لأن يكـون صاحبه ممثلا لمنهج السلف، فلا بد من:

1- حب السلف والذود عنهم، وعن منهجهم.

2- فهم المنهج، أي منهج أهل السنة والجماعة.

3- الالتزام بمنهج السلف، خلقا ودعوة، وسلوكا، قولا، وفعلا.

وأي إخلال بواحد من هـذه الأسـس يعتـبر إخلالا بانتسـاب الفـرد إلى السلف.

14- عدم إتقان قاعدة المصالح والمفاسد:

وهذا يؤدي إلى تقديم جلب المصلحة على دفع المفسـدة، ودفـع المفسدة الصغرى بالكبرى، وجلب المصلحة الدنيا، وترك العليا.

وليس الحكيم هـو من يعـرف الخـير والشـر، وإنمـا الحكيم من يعرف خير الخيرين، وشر الشرين.

وهذه القاعدة من أعظم قواعد الشريعة، والجهل بهـا يجـر على المسلمين الشرور والويلات.

15- الغفلة عن مكائد الأعداء

نحن في عصـر اشـتد فيـه الصـراع بين الحـق والباطـل، وقـد تطورت أساليب الأعـداء في حـرب الإسـلام والمسـلمين، وبخاصـة عندما أثبت لهم التـاريخ أن أي معركـة مباشـرة مـع المسـلمين لن تكون في صالح الكفر إن عاجلا أو آجلا.

وهنا لجأوا إلى أساليب المكـر والخديعـة والتلـبيس، وقـد انطلت هذه الأساليب على كثير من المسلمين، وانخدعوا بالشعارات الـتي يرفعها أعداء الله، ومن هنـا كـانت كثـير من المواقـف الـتي وقفهـا العلماء والدعاة في بعض بلاد المسـلمين غـير متكافئـة مـع خطـط الأعداء ومؤامراتهم.

وهذه نتيجة الجهل بفقه الواقع، وها نحن ندفع ثمن هذا الأمر ربـا فضل ونسيئة.

إن الحكمـة هي فعـل مـا ينبغي، كمـا ينبغي، في الـوقت الـذي ينبغي.

فكيف نفعل ما ينبغي كما ينبغي إذا كنا لا ندرك مــاذا ينبغي؟ لأن الحكم فرع عن التصور، وتصورنا لعدونا يشوبه النقص والتقصير.

16- وأخيرا فإن من خوارم الحكمة: الغلظة والعنف والطيش

وما وجدت الفظاظة في شيء إلا شانته، وما نــزعت من شــيء إلا زانته، ويكفي لبيان ذلك أن نتأمل قوله -تعالى-: (وَلَـوْ كُنْتَ فَظّـاً غَلِيــظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّــوا مِنْ حَوْلِــكَ) (آل عمــران: من الآية159). وسرعة الغضب والانفعال من خوارم وقوادح الحكمة.

وبعد: فهذه أهم خوارم الحكمة، وموانعهــا، وحــري بالــدعاة إلى اللــه أن يتأملوهــا ليجتنبوهــا، وعلى طلاب العلم أن يحــذروا أمتهم منها، ليكونوا مسددين في أقوالهم، وأفعالهم، ونياتهم.

أركان الحكمة وأسبابها

ذكرت في المبحث السابق خوارم الحكمة وموانعها، وقدمت ذكرها على أركان الحكمة وأسبابها، لتكون واضحة جلية ونحن نتحدث عن الأسس والأركان، وذلك من قولهم: التخلية قبل التحلية، أي لا بد من التخلي عن الموانع والخورام، قبل التلبس بالأركان، والبحث في الأسباب.

وقد جمعت بين الأركان والأسباب لأن بينهما عموما وخصوصا، فكل ركن سبب، لا العكس.

1- التجرد والإخلاص والتقوى

هذا هو الأساس لكل عمل، والمنطلق لكل هدف وغاية، فالله - سبحانه وتعالى- يقول: (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) (البقرة: من الآية 282). ويقول: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام: 162، 163). ويقول -سبحانه-: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) (البينة: من الآية5).

والرسول صلى الله عليه و سلم يقول: " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم " [1].

1 - مسلم (2564).

إننا لا نتصور حكمة بـدون تجـرد وإخلاص، ولـذلك ذكـرت أن من موانـع الحكمـة، الهـوى، فـإذا كـان الهـوى من موانـع الحكمـة فـإن الإخلاص والتقوى أساسها. (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْـهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِـبُ) (الطلاق: من الآيـتين 2،ـ 3). (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً) (الطلاق: من الآية4). ونلمس هذا المعنى في قوله -تعالى-: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (الفرقـان: من الآية74). فإنـه لن يكـون إمامـا إلا إذا كـان حكيمـا، وإذا كـان إمامـا للمتقين، فالتقوى صفة للإمام قبل المأمومين.

2- التوفيق والإلهام

إن الحكمــة مطلب عزيــز، وغايــة ســامية، ورتبــة رفيعــة، ينــال صاحبها سمة من سمات الأنبياء والرسل، عليهم وعلى نبينـا أفضـل الصلاة والسلام- ولذا فليســت متاحــة لكـل فـرد، بـل هي مـع بـذل الأسباب وتوافر الأركان فضل من الله ونعمة، ولذا قـال -سـبحانه-: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَيْـراً كَثِـيراً) (البقرة: من الآية269). وبين أنه أعطى لقمان الحكمة (وَلَقَـدْ آتَيْنَـا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (لقمان: من الآية12).

وسأل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه و سـلم ربـه أن يلهم ابن عباس الحكمة، ويعلمه إياها. " اللهم علمـه الحكمـة " [1]. رواه البخاري. وعندما نفقه هـذه الحقيقـة، فإنـه يتعين علينـا أن نتعامـل

---

1 - سبق تخريجه. ص8.

معها بما يجب أن نعمله من أسباب، ليمن الله علينا بها، (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) (البقرة: من الآية269).

3- العلم الشرعي

والعلم من أهم قواعد الحكمة ودعائمها، فكما أن الجهل مانع من موانعها، فإن العلم سبب من أسبابها، وركن من أركانها.

ولهذا قال -سبحانه-: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (فاطر: من الآية28). وخشية الله من الحكمة، وقال تعالى-: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) (الزمر: من الآية9). لا يستوون في أشياء كثيرة، ومنها إدراك الحكمة.

وقرن الله بين الحكم -وهي الحكمة- والعلم في عدة آيات من كتاب الله، فيقول -سبحانه- عن لوط: (وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) (الأنبياء: من الآية74). ويقول عن يوسف: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) (يوسف:22). ويقول عن داود وسليمان: (وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) (الأنبياء: من الآية79). وقال عن موسى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) (القصص: من الآية14).

وهذه الآيات من أقوى الأدلة على اقتران الحكمة بالعلم، ولذلك يقول -سبحانه-: (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: من الآية83). وعلم الأمر المختلف فيه أو ما يشكل على العامة هو الحكمة، وأولو الأمر هنا هم العلماء، وكذلك نفهم ارتباط العلم بالحكمة والحكمة بالعلم،

من قول الرسول صلى الله عليه و سلم " من يرد الله به خــيرا يفقهه في الدين " والله -سبحانه- يقول: (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً) (البقرة: من الآية269).

ومن خلال هذه الأدلة يتضح لنا هـذا الأمـر، بـل إن بعض العلمـاء فسروا الحكمة بالعلم، وممن أطال في ذلك وفصل فيه رشيد رضا [1] وكذلك الرازي [2] وهذه حقيقة، فالزمها تؤت الحكمة.

4- التجربة والخبرة

وهما من أهم أسباب التوفيق للحكمة، وقد ورد عند البخاري في الأدب المفرد:

"لا حكيم إلا ذو تجربة"، والمثل المعروف يقول: "اسـأل مجـرب ولا تسأل طبيب"، إن التجربة في الحياة رصـيد ضـخم تعـادل أعلى الشهادات، فإذا أضيفت إلى العلم أصبحت أهم من الشـهادة، وهـل الشهادة إلا علم وتجربة، مع أنها في الغالب تكون تجربة قاصرة.

ولقـد وقفت طـويلا عنـد آيـة وردت في القـرآن، وهي قولـه -تعالى-: (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَـغَ أَرْبَعِينَ سَـنَةً قَـالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْـكُرَ نِعْمَتَـكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِـدَيَّ وَأَنْ أَعْمَـلَ صَـالِحاً تَرْضَاهُ) (الأحقاف: من الآية15). فإنني ألحظ أن ارتباط بلوغ الأشد والاستواء بسن الأربعين له عدة دلالات، ومنها أن المـرء يكـون قـد

1 - انظر تفسير المنار 3/75.

2 - انظر: تفسير الرازي 7/67.

حصل على رصيد مناسب من التجربة، بل إنني ألمس في حياة الناس أن ما قبل الأربعين رصيد التجربة فيه أقوى من رصيد العطاء، وما بعد الأربعين سمة العطاء فيه أقوى من التجربة ألا وهي الخبرة، حيث إن الأربعين مرحلة وسطية في عمر الإنسان، حيث إن ما قبلها من العمل يعادل ما بعدها في الأعم الأغلب.

ومما يجري في سياق الآية، أن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث على الأربعين، والله -سبحانه- يقول عن يوسف، عليه السلام،: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) (القصص: من الآية14). قال الحسن: "بلغ أربعين سنة" [1].

وخلاصة الكلام:

أن التجربة عامل مهم في حصول الحكمة وتحققها.

5- الاستشارة

ذكرت أن الفردية من خوارم الحكمة، ومن وسائل تجنب الفردية الاستشارة.

والشورى لها مكانتها في الإسلام، وللدلالة على أهميتها وعظم منزلتها، أن الله -سبحانه- أمر نبيه صلى الله عليه و سلم وهو المعصوم الذي يوحى إليه، أن يستشير صحابته فقال -سبحانه-: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران: من الآية159). بل إن هذه الآية جاءت في سياق يفيد أن هذا هو مقتضى الحكمة، (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

1 - انظر: تفسير ابن كثير 2/473 مع اختلاف المفسرين في ذلك.

عَنْهُمْ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَـاوِرْهُمْ فِي الْأَمْـرِ فَـإِذَا عَـزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران:159).

وقال -سبحانه- واصفا المؤمنين ومثنيا عليهم: (وَأَمْـرُهُمْ شُـورَى بَيْنَهُمْ) (الشورى: من الآية38). بل إنني وجدت آيـة أخـرى نصـا في المسألة، وهي قضية فطام الولـد فقـد قـال -سـبحانه-: (فَـإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) (البقـرة: من الآية 233). وفصل الولد وفطامه يحتـاج إلى حكمـة حـتى لا يضـار وهـو صغير لا حول لـه ولا قـوة، وقـد يكـون ضـحية خلاف بين الوالـدين، فجعل التشاور شرطا للفطام، وليس مجرد التشاور كافيا، بل لا بـد أن يكون تشاورا حقيقيا، تكون نتيجتـه التراضـي والاتفـاق، وإلا فلا، ولذلك قال ابن كثير:

أي: فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحـولين، ورأيـا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلـك وأجمعـا عليـه، فلا جنـاح عليهمـا، فيؤخذ منه أن انفـراد أحـدهما بـذلك دون الآخـر لا يكفي، ولا يجـوز لواحد منهما أن يستبد في ذلك من غير مشاورة الآخر، قاله الثوري وغيره [1].

ومن خلال ما سبق تتضح أهمية الشورى، وأثرها في مواجهـة الأحـداث، ولـو اسـتغنى أحـد عنهـا لاستغنى رسول الله صلى الله عليه و سلم الذي كان يشاور صحابته عند الملمات، بل إنه كان يأخذ برأيهم، ولو خالف رأيه -أحيانا- كما حدث في أُحُد.

رأي الجماعة لا تشقى البلاد بـــــــه   رغم الخلاف، ورأي الفـــرد يشـــقيها

1 - انظر: تفسير ابن كثير 1/284.

ولذا يقول الشاعر:

ومن الرجـــــــال إذا استوت أخلاقهم ... من يستشـــــــار إذا استشير فيطرق

حتى يحل بكل واد قلبه ... فيرى ويعرف ما يقول فينطق

ويقول الآخر:

إذا كنت في حاجة مرسلا ... فأرسل حكيما ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى ... فشاور لبيبا ولا تعصه

وقد قيل: الناس ثلاثة:

رجل كامل -أي الكمال النسبي- وهو الذي له عقل ويستشير، ونصف رجل: وهو الذي له عقل [1] ولا يستشير، والثالث: لا شيء، وهو الذي لا عقل له ولا يستشير [2].

6- بعد النظر وسمو الأهداف

إن الذي يعيش لقضية مصيرية يختلف عن إنسان يعيش على هامش الحياة، فعند وقوع حدث من الأحداث، أو مواجهة قضية من القضايا سنجد الفرق بين التفكيرين، لأن الأول سيربط القضية بالأهداف التي يسعى إليها، ويعالجها من خلال منظور معين، وهذا الذي يرمي إليه الشاعر، بقوله:

ومن الرجـــــــال إذا ... من يستشـــــــار إذا

1 - وأرى أنه لو كان له عقل لاستشار.

2 - انظر: حتى لا تغرق السفينة ص 68.

اســــــتوت أخلاقهم	**استشـــير فيطـــرق**
حـتى يـحــل بكــل واد	**فـــيرى ويعـــرف مـــا**
قـلـــــــــــــــبه	**يقـــــول فينطـــــق**

والشاهد هنا: (حتى يحل بكل واد قلبه).

أما الثاني فإنه يعطي الرأي، ويتخذ الموقف بنـاء على الظـروف المحيطة به، بعيدا عن النظر في الأسباب والنتائج والآثار فهو بـادي الرأي.

ولذا فإن علو الهمة، وبعد النظر، سـبب من أسـباب التوفيـق في الـرأي، والسـداد فيـه، وصـدق الشاعر:

وإذا كـــانت النفـــوس	**تعبت في مرادهــــــــا**
كبــــــــــــــــارا	**الأجســــــــــــــام**

7- فقه السنن

وهي عامل مهم في نضوج الـرأي وسـلامة التفكـير، لأن التفكـر في السـنن الكونيـة والشـرعية ممـا حث القـرآن على العنايـة بـه: (أَوَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ) (الـروم: من الآية9). (أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ) (يوسف: من الآية109). حيث وردت عدة مرات، فنجد في سـورة الحج 46: (أَفَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُـونَ لَهُمْ قُلُـوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) (الحج: من الآية46) فقرن السير في الأرض -وهـو إمـا حسي أو معنوي- بالعقل، وهو موطن الحكمة، بل إن الآيات جـاءت

أمرا بالسير في الأرض، ولم تقتصر على الاستفهام فقال -سبحانه- في عدة آيات:

(فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ) (آل عمـران: من الآية137). (قُـلْ سِـيرُوا فِي الْأَرْضِ) (الأنعام: من الآية11).

إن قراءة التاريخ والاطلاع على أحوال الأمم الماضية يضيف إلى رصيد التجربة رصـيدا علميـا من تجارب الآخرين، ولذا قال الشاعر:

اقــرأ التــاريخ إذ فيــه العــــــــــــــــبر   ضل قوم ليس يــدرون الخــــــــــــــــبر

وكلما تعمق الإنسان في رؤية الماضي من خلال السـنن الكونيـة والشرعية، كان أكثر قدرة على وضوح الرؤية في المستقبل، ضمن الضوابط الشرعية والعقلية.

8- رجاحة العقل

إن العقل مكان الحكمـة وبيتهـا، وبين العقـل والحكمـة اشـتراك لفظي ومعنــوي، وقــد يطلــق العاقــل على الحكيم، والحكيم على العاقل، فإذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

حيث إن الحكمة أعم من العقل وأشمل.

ومما يدل على علاقة العقل بالحكمـة أن الله لمـا ذكـر الحكمـة فقال: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُـؤْتَ الْحِكْمَـةَ فَقَـدْ أُوتِيَ خَيْـراً كَثِـيراً) (البقـرة: من الآية269). ختمهـا بقولـه: (وَمَـا يَـذَّكَّرُ إِلَّا أُولُـو الْأَلْبَابِ) (البقرة: من الآية269). أي: أولو العقول، قال ابن عاشور:

وقوله: (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُـو الْأَلْبَـابِ) (البقـرة: من الآية269). تـذييل للتنبيه على أن من شاء الله إيتـاء الحكمـة هـو ذو اللب، وأن تـذكر الحكمة واستصحاب إرشادها بمقدار استحضار اللب وقوتــه، واللب في الأصل: خلاصة الشيء وقلبه، وأطلق هنـا على عقـل الإنسـان؛ لأنه أنفع شيء فيه [1].

ولأثر العقل في تصرفات المرء وسلوكه، ذكره اللــه في القـرآن كثيرا، تنويها بمكانته، وأثره في الحياة.

9- العدل

أمر الله بالعدل في كتابه في عـدة مواضـع، ولا يمكن أن تجتمـع الحكمة مع الظلم، والحيف والجور.

يقـول -سـبحانه-: (إِنَّ اللَّهَ يَـأْمُرُ بِالْعَـدْلِ) (النحـل: من الآية90). ويقول -تعالى-: (وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُــوَ أَقْـرَبُ لِلتَّقْـوَى) (المائـدة: من الآية8). وفي سـورة الأنعـام 152: (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى) (الأنعــام: من الآية152) وفي سورة الشورى 15: (وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) (الشورى: من الآية15) وعند التأمل في هذه الآية، تتضح علاقة الحكمة بالعـدل، بـل مكانـة العـدل من الحكمة (وَضَـرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَـدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْـدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْـتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (النحل:76).

1 - انظر: التحرير والتنوير 3/64.

والحكم والحكمة اشتقاقهما واحد، ومعناهما متقارب، وعند النظر في دلالات الحكمة، نجد أنها في مآلاتها بمعنى الحكم، لأن الحكم هو الحكم بين المتخاصمين أو بين الخصوم، والحكمة هي النظر في أمرين أو عدة أمور، واختيار الصائب أو الأصوب منها، والله -سبحانه- قد جعل العدل أساس الحكم (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (النساء: من الآية58). فكما أن العدل من لوازم الحكم، فهو من لوازم الحكمة، بل ركن من أركانها، وأساس من أسسها، والعدل والحكمة معناهما: "وضع الشيء في موضعه"، وإن كانت الحكمة أعم من العدل -كما سبق بيانه-.

10- التثبت

من الوسائل التي تؤدي إلى الحكمة: التثبت، والتثبت: منهج شرعي دعا إليه القرآن، حيث قال -سبحانه-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا) (الحجرات: من الآية6).

وبما أن العجلة والاستخفاف من خوارم الحكمة، فإن التأني والتثبت من دعائمها.

والعجلة من الشيطان، ولذلك قال الله -تعالى- لرسوله صلى الله عليه و سلم (وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ) (الروم: من الآية 60). وهذه الآية أعم من التثبت، بل هي أمر بالصبر، والتثبت يحتاج إلى الصبر.

وفي آية الحجرات بعد أن أمر الله بالتبين، قال في الآية التي بعدها: (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) (الحجرات: من الآية7). أي: لو أن الرسول صلى الله عليه و سلم استجاب لما يريدون دون تثبت ولا روية لأصابهم العنت والمشقة، الحسية والمعنوية، وهذا مما يخالف الحكمة ومقاصدها.

والذي يمعن النظر في كثير من الأحداث المعاصرة، يدرك أن من أبرز أسباب آثارها السلبية: العجلة وعدم التثبت.

ولقد أدرك الأعداء هذه الثغرة، فكثروا من الإشاعات والأراجيف، وتلقاها كثير من المسلمين بدون روية ولا تبصر، ولم يلتزموا المنهج الرباني، بالتثبت ورد الأمر إلى أهله، كما أمر الله -تعالى-: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (النساء: من الآية83). ولهذا فقدنا الحكمة في كثير من الأحداث التي مرت بالمسلمين، فجاءت النتائج كما نرى.

11- المجاهدة

قال الله -تعالى-: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) (العنكبوت: من الآية69). أي: لنوفقنهم لإصابة الطرق المستقيمة، كما فسرها الإمام الطبري [1] والحكمة هي التوفيق لإصابة الحق.

ولهذا فإن من أعظم الأسباب للتوفيق للحكمة، هي المجاهدة وهي مفاعلة من الجهاد، فهو جهاد بعد جهاد، وحمل للنفس على تحقيق مراد الله مرة بعد أخرى.

1 - انظر: تفسير الطبري 21/15.

وهذه الآية وعد من الله بأن من جاهد نفسه طالبا للحكمة باحثـا عنها أن يوفقه الله إليها، ولو بعد حين، وهذا وعد الله، ومن أصـدق من الله قيلا؟.

12- الدعاء والاستخارة

قال الله -سبحانه-: (وَإِذَا سَـأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّي فَـإِنِّي قَـرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْـتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُـوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُـدُونَ) (البقرة:186). قال ابن عاشور: الرشد: إصابة الحق وفعله [1].

وقد تقـدم أن من معـاني الحكمـة: الإصـابة في القـول والعمـل. والدعاء له منـزلة عظيمـة، وآثـاره مشـاهدة، ملموسـة، وتكـرر في القـرآن وروده، قـال -سـبحانه-: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْـطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ) (النمـل: من الآية62). وقـال: (ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ) (غـافر: من الآية60).

وقال: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) (الأعراف: من الآية55).

والاسـتخارة قرينـة الـدعاء، بـل هي نـوع من الـدعاء المشـروع، عندما يعـرض للمـرء طريقـان فـأكثر، ولا يـدري أيهـا يسـلك، فإنـه بالاستخارة يوفق للصواب والحكمة.

13- الصبر

الصبر مفتـاح الفـرج، ولقـد وردت آيتـان في كتـاب اللـه، وقفت عندهما متأملا، وخرجت بعـد ذلـك مسـتنتجا، أن الصـبر دعامـة من

1 - انظر التحرير والتنوير 2/180.

دعـائم الحكمـة، بـل سـبب من أسـبابها، وذلـك في قولـه -تعـالى-: (وَجَعَلْنَـــاهُمْ أَئِمَّةً يَهْــدُونَ بِأَمْرِنَــا) (الأنبيـــاء: من الآية73). وفي السجدة: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَـبَرُوا وَكَـانُوا بِآياتِنَـا يُوقِنُونَ) (السجدة:24).

إن الصبر من أعظم أسباب توفيقهم للإمامة، ولا يمكن أن يكون إماما للمتقين إلا إذا كان حكيما، قال الإمام الطبري:

وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يـؤتم بهم، ويهتدى بهديهم [1].

ولمنـزلة الصبر وأثره في الحياة، وردت آيـات كثـيرة تحث عليه وتأمر به، ومن الآيات التي وردت تبين أثر الصبر في الحصـول على الحكمة والتوفيق لها.

منها قوله -تعالى-: (وَلا تَسْـتَوِي الْحَسَـنَةُ وَلا السَّـيِّئَةُ ادْفَـعْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَـا يُلَقَّاهَـا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت:34، 35).

فإن الإنسان إذا سلك منهجـا يجعـل من عـدوه حميمـا وصـديقا، فإن ذلك دليل على الحكمة وحسن التصرف.

والقرآن يبين أنه لن يصل إلى هـذه المنـــزلة إلا من كـان صـابرا موفقا، وهناك آيات كثـيرة عنـد التـدبر لهـا، يـدرك المسـلم منـــزلة الصبر من الحكمة، وأثره في التوفيق لها.

ومنها: قوله -تعالى-: (وَاسْـتَعِينُوا بِالصَّـبْرِ وَالصَّـلاةِ) (البقـرة: من الآية45). وقولـه -سـبحانه-: (وَاصْـبِرْ عَلَى مَـا أَصَـابَكَ إِنَّ ذَلِـكَ مِنْ

1 - انظر: تفسير الطبري 21/112.

عَزْمِ الْأُمُورِ) (لقمان: من الآية17). وقولـه: (قَـالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْـتَطِيعَ مَعِيَ صَـبْراً) (الكهـف:67). وقولـه: (قَـالَ سَـتَجِدُنِي إِنْ شَـاءَ اللَّهُ صَابِراً) (الكهف: من الآية69). وقوله: (يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُـوا اصْـبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (آل عمران:200).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الصبر من صفات الحكمـاء، ولـذلك أوصى الله به رسله، وأنبياءه، وعباده المؤمنين.

14- الرفق ولين الجانب

وخير ما أختم به هذا المبحث من الأركان والأسـباب الـتي تـؤدي إلى الحكمــة هــو: الرفــق واللين، فــإن اللــه رفيــق يحب الرفــق، والرسول صلى الله عليه و سلم يقول: " إن الرفق ما كـان في شيء إلا زانه، وما نـزع من شيء إلا شانه "[1].

وكان صلى الله عليه و سلم وهو الرفيق بأمته يوصـي صـحابته بالرفق والسكينة دائما، وقد مدح الله -جل وعلا- رسوله صلى الله عليه و سلم فقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) (آل عمران: من الآية159). فالرفق واللين من سمات الحكماء.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هنـاك فهمـا خاطئـا لمفهـوم اللين؛ حيث يتصور الكثير أن الرفق واللين مـرادف للضـعف. وهـذا فهم خاطئ، فإن الرفق واللين لا يضاد القوة، ولا يستلزم الضـعف، وإنما يضاد العنف والفظاظة والغلظة، ومن الأدلة على ذلك:

1 - مسلم (2593)، (2594).

1- **أن الله -تعالى- وصف رسوله** صلى الله عليه و سلم باللين، ومدحه بذلك، ونفى عنه الفظاظة والغلظة، ولا يمدح إلا بالممدوح.

2- **أن الرسول** صلى الله عليه و سلم من أقوى الرجال بل هو أقواهم، مع اللين والرحمة، والرفق وخفض الجانب.

3- **أن الرسول** صلى الله عليه و سلم أوصى الذي يريد أن يذبح ذبيحته باللين والرفق، والذبح من مظاهر القوة لا الضعف "وليحد شفرته وليرح ذبيحته "[1]. وفي هذا الحديث دليل على أن القوة باللين والرفق، فحد الشفرة، دليل على القوة بلين ورفق.

4- **أن الجهاد مظهر من مظاهر القوة،** بل هو القوة بعينها، ومع ذلك ينهى فيه عما يؤدي إلى العنف والغلظة، فنهى عن المثلة ونحوها.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين اللين، والرفق وبين القوة، وكلها من صفات الحكماء.

وبعد:

فهذه أهم وأبرز أركان الحكمة وأسبابها، حسب ما ظهر لي بالتتبع والاستقراء لكتاب الله .

وقد تجتمع هذه الأركان في شخص واحد، وهو نادر وقليل، وقد تتوافر في مجموعة من الأفراد، فبمجموعهم تتوافر فيهم أركان الحكمة وسماتها.

1 - رواه مسلم (1955).

وكما ذكر العلماء، أن المجدد قد يكون فردًا واحدًا، وقد يكونون مجموعة من العلماء، والدعاة يجددون لهذه الأمة أمر دينها.[2]

ولهذا فإن الحكمة قد تكون كاملة وقد تكون نسبية، وهو الأكثر [3] وهذا المفهوم يساعدنا في البحث عن الحكمة والحكماء عند مواجهة الأحداث والأزمات.

2 - انظر: كتاب التجديد والمجددون.

3 - قال ابن القيم في مدارج السالكين 4/479: والله -تعالى- أورث الحكمة آدم وبنيه، فالرجل الكامل من له إرث كامل من أبيه، ونصف الرجل كالمرأة له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى. وأكمل الخلق في هذا: الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم، وأكملهم أولو العزم، وأكملهم محمد، صلى الله عليه وسلم، ولهذا امتن الله -سبحانه وتعالى- عليه، وعلى أمته بما آتاهم من الحكمة، كما قال -تعالى-: (وأنـزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم. وقال: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون).

أمور تندر فيها مراعاة الحكمة

هناك أمور وقضايا كثيرة يتساهل كثير من الناس في مراعاة الحكمة فيها، مع أنها أولى من غيرها، لأهميتها ولما يترتب على ترك الحكمة فيها من آثار سلبية.

ولست في مقام حصر هذه الأشياء وتعدادها، ولكن سأذكر بعضا منها على سبيل الإيضاح والبيان. **1- الوالدان، والأولاد والزوجة، والأهل والأرحام.**

فموضوع بر الوالدين وتربية الأولاد، ومصاحبة الزوجة ومعاشرتها، وصلة الأهل والأرحام والأقارب موضوع وقع الناس فيه بين إفراط وتفريط، وقليل منهم من يوفق إلى الأسلوب الأمثل ويؤدي حق الله في هذا الجانب.

فمثلا: الزوجة، هناك من أساء فهم حق القوامة التي منحه الله إياها، (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ) (النساء: من الآية34). فتسلط على زوجته واعتبرها مملوكة له، يعاملها كما يعامل السيد مملوكه، وتجاهل حقوقها، والمنهج الشرعي في معاشرتها، (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: من الآية19). وهذا استعباد لم يأذن به الله، وآخرون خضعوا لسلطان الشهوة. (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ) (آل عمران: من الآية14). فاستعبدتهم النساء، وأصبحت المرأة هي السيدة في البيت، فلا يقضى أمر دونها، ولا يعتذر عن مطلب من مطالبها، فضاعت القوامة، ولن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة.

والقليل من وفق إلى العمل بهذه الأدلة: (الرِّجَـالُ قَوَّامُـونَ عَلَى النِّسَاءِ) (النسـاء: من الآية34). (وَلِلرِّجَـالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَـةٌ) (البقـرة: من الآية228) (وَعَاشِـرُوهُنَّ بِـالْمَعْرُوفِ) (النسـاء: من الآية19). وقول الرسول، صلى الله عليه و سلم " لا يفرك مؤمن مؤمنـة، إن كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر "[1]. وقولـه: " إنمـا هن عوان عندكم "[2]. أي: أسيرات، وغير ذلك من الآيات والأحـاديث التي تبين حق الزوجة والزوج.

2- التعامل مع المجتمع:

فلا يخلو مجتمع من المجتمعات من التناقضات، والمجتمع يحتـاج إلى أسلوب حكيم في التعامل معه، جلبا وتنميـة للإيجابيـات، ودرءًا للسلبيات، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء.

3- أهل البدع:

وهذا موضوع مهم للغاية، وقد بين العلمـاء المنهج الشـرعي في التعامل مع أهل البدع، وفرقوا بين البدع صغيرها وكبيرها، والظـاهر منها والمستتر، كما فرقوا بين الداعي إلى بدعتـه، والقاصـرها على نفسه.

وليس هـذا مكـان بيـان ذلـك، ولكن أردت أن أشـير إلى الخلـل الواقـع في ذلـك من قبـل بعض الـدعاة وطلبـة العلم، ممـا يجـانب الحكمة ويضادها.

1 - مسلم (63،1470).

2 - أخرجه الترمذي (1163) وقال: وهذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (1851).

4- إنكار المنكر:

لماذا إنكار المنكر؟ وهل الأمـر بـالمعروف لا يحتـاج إلى حكمـة؟ **ليس الأمـر كـذلك،** ولسـت في بيـان الأمـور الـتي تحتـاج إلى الحكمة، وإنما المـراد هـو الإشـارة إلى مـا يفتقـر إلى الحكمـة من حيث الواقع، والمشـاهد أن الإخلال بالحكمـة في النهي عن المنكـر أعظم من الإخلال بها عند الأمر بالمعروف.

وكذلك فإن ضوابط إنكار المنكر قـد تخفى على الكثـيرين، أكثر من خفاء ضوابط الأمر بالمعروف.

وخلاصة القول: إننا بحاجة إلى الحكمة عند الأمر بـالمعروف، ولكننا أشد حاجة إليها عند إنكار المنكر.

لأنه لا بد من مراعـاة قاعـدة المصـالح والمفاسـد، وقاعـدة سـد الذرائع، وغيرهما من القواعد الشرعية. والإخلال بالحكمة لـه آثـاره التي لا تخفى، (وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)(البقرة: من الآية269).

5- إشاعة بعض الأخبار والمفاهيم:

يقـول اللـه -سـبحانه- وتعـالى: (وَإِذَا جَـاءَهُمْ أَمْـرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَـوْفِ أَذَاعُـوا بِـهِ وَلَـوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُـولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْـرِ مِنْهُمْ

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً) (النساء:83).

من القضايا التي تقل فيها مراعاة الحكمة:

إشاعة الأخبار، مما ظاهره المسرة أو الخوف، وقد يكون وراء هذه الأخبار أهداف تخفى على الكثيرين، وبخاصة وقت الأزمات والحروب.

ولأن الحكمة ليست متاحة لكل أحد أمر الله برد هذه الأخبار إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم في حياته، وإلى سنته وعلماء الأمة بعد وفاته صلى الله عليه و سلم لأن أولئك هم الذين يدركون الحكمة، ويعلمون ما وراء هذه الأخبار، ومن ثم يقررون ما يناسب الحال.

وهم الذين يفقهون قول الرسول صلى الله عليه و سلم " كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع "[1]. لأن كثيرا من الإشاعات والأخبار ليست على ظاهرها، بل قد تكون مكذوبة من أصلها.

6- النقد وبيان الأخطاء:

هذه مسألة ضل فيها كثير من الناس، فطائفة أطلقوا ألسنتهم دون حسيب أو رقيب، وديدنهم النقد والتجريح وإحصاء الأخطاء والمثالب، لا يسمعون بمنقصة إلا أشاعوها، ولا بمذمة إلا أذاعوها، وطائفة أخرى اعتبروا النصيحة فضيحة، والتنبيه على الأخطاء

1 - مسلم (5).

تجريحا، وجعلوا لبعض الأفراد والهيئات والجماعات قداسة لا تمس، ومنحوهم حصانة لا ترفع، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم.

ومن هنا فإن موضوع النقد وبيان الأخطاء موضوع حساس، لـه ضوابط يجب أن تراعى، وحدود لا يجوز تعديها وتجاوزها.

ومراعاة هذا الأمر هو الحكمة التي نعنيها، والضالة التي ننشدها.

هذه نماذج من أمور كثـيرة يجب أن تـراعى الحكمـة فيهـا، ونلحظ تساهل كثير من الناس في ذلك، مما تـرك كثـيرا من الآثـار السلبية في واقع المسلمين ومجتمعاتهم.

مسائل متعارضة سوى الناس بينها

هناك مسائل وقضـايا اختلـط الأمـر فيهـا على بعض المسـلمين، فسووا بينها مع أنها متضادة ومتعارضة، وبينها خيـط رفيـع لا يدركـه إلا الحكماء، ممن وهبهم الله البصر والبصيرة.

فمثلا نجد الخلط بين الإسراف وبين الكرم، والخلط بين البخـل وبين التوفـــير أو الاقتصـــاد. والأول مـــذموم، والثـــاني ممـــدوح، ومطلوب.

ولذا فبعض النـاس يصـف الكـريم بالإسـراف، وآخـرون يصـفون المسرف بالكرم، وهكذا.

وسـأذكر بعضـا من هـذه القضـايا والمسـائل، تنبيهـا إلى خطورة عدم التفريق بينها، وتصور أنها من المتماثلات، لنكون على بينة من أمرنا تجنبا لإطلاق الكلام على عواهنه، دون تبصر لحقيقتـه وآثاره.

فمن ذلك الخلط بين:

1- **القوة وبين العنف والغلظة.**

2- **الرفق واللين وبين الضعف.**

3- **المداراة وبين المداهنة.**

4- **المصلحة وبين المفسدة.**

5- **النصيحة وبين التشهير.**

6- **الإسرار وبين السكوت عن الحق.**

7- **الغيرة وبين الاندفاع غير المنضبط.**

8- **العزة وبين التكبر.**

9- **التواضع وبين الذل.**

10- **التأني وبين البرود والخمول والكسل.**

11- **الشجاعة وبين التهور.**

12- **خوف الفتنة وبين الجبن والخوف.**

وكثير من الناس يصعب عليه التفريق بينها، فتجد من يصف الشجاع بالتهور، وتجد من يُثني على المتهور ويصفه بالشجاعة.

ونرى من يسم الناصح بالتشهير، وآخرون يبررون عمل الذي يشهر بالناس بأنه ناصح، وهكذا.

والمنهج الصحيح هو تسمية الحقائق بأسمائها، ولا يتسنى ذلك إلا لمن رزق علما وفهما وقدرة على وضع الشيء في موضعه، **وهذه هي الحكمة التي نتحدث عنها.**

الخاتمة

وبعد:

فهـذه هي الحكمـة كمـا فهمناهـا من كتـاب اللـه -تعـالى- وسـنة رسوله صلى الله عليه و سلم حيث اتضح لنا الأثر الإيجـابي الـذي يتركه من التزم بالحكمة ووفق لها.

أما من لم يوفق للحكمة -وهم كثر، لا كثرهم الله- فقد جنوا على الأمة المصائب والـويلات لتصـرفاتهم الـتي سـببت للمسـلمين البلاء والمزيد، من تسلط الأعداء.

إنــه حــري بالعلمــاء وطلاب العلم والــدعاة أن يلمــوا بالحكمــة، ويلتمسوا سـبلها، في وقت عـز فيـه الحكمـاء، وبخاصـة أمـام هـذه الهجمة الصليبية المتقنة.

لأننا، وإن كنا بأمس الحاجة إلى القـوة الاقتصـادية والعسـكرية، فـإن حاجتنـا إلى الـرأي السـديد والنظر البعيد أشد وأولى، وصدق الشاعر، إذ يقول:

الــرأي قبــل شــجاعة الشــــــــــــــجعان ... هــو أول وهي المحــل الثــــــــــــــاني

والآخر يقول:

ووضــــع النــــدى في موضـع السـيف بـالعلا ... مضــر كوضـع السـيف في موضــــع النــــدى

وإذا كان يعز توافر الحكمة في فرد واحد، فإن توافرها في مجموعة أفراد أحرى وأجدى وأقــرب للمنال، ولهذا قال الشاعر:

رأي الجماعة لا تشقى ... رغم الخلاف ورأي

البلاد بـــــــــــــــــه الفـــــرد يشـــــقيها

إن الأمة أحوج ما تكون إلى العلماء والدعاة العاملين المخلصين، الملتزمين بمنهج الرسول صلى الله عليه و سـلم في وقت أصـبح الحليم حيران.

إن العلاج بين أيــدينا في كتــاب ربنــا، وســنة نبينــا، حيث يقــول المصطفى صلى الله عليه و سلم " تركت فيكم ما إن تمســكتم به لن تضلوا بعدي أبـدا: كتـاب اللـه وسـنتي " وقـال: " تـركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " [1].

وصـدق اللـه العظيم حيث يقـول: (وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْـتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (الأنعــام: من الآية 153). ولكن لن يفقـه ذلـك إلا من آتـاه اللـه الحكمـة، (وَمَنْ يُـؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (البقرة: من الآية269).

وصـلى اللـه وسـلم على نبينـا محمـد، وعلى آلـه وصـحبه، ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

---

1 - رواه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني في صحيح الجامع (2937).